المجلد الثالث عشر الجزء ١

مجلة المجمع العلمي العربي

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تنشر في دمشق مرة في الشهر

كانون الثاني سنة ١٩٣٣ م

الموافق رمضان سنة ١٣٥١ هـ

دمشق :

المجمع العلمي العربي

قيمة الاشتراك السنوي الدفع مقدماً { في سورية ولبنان ٢٥٠ قرشاً سورياً / وفي جميع الاقطار ٦٠ فرنكا

مجاميع المجلة عن السنين الماضية

في الداخل ٥٠٠ من السنة الاولى الى السادسة الى كل سنة منها

〃 ٣٠٠ 〃 السابعة الى الثانية عشرة 〃

في الخارج ٦٠٠ 〃 الاولى الى السادسة 〃

〃 ٣٥٠ 〃 السابعة الى الثانية عشرة 〃

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ارتجال الشعر واجازته

١ — تمهيد

ارتجال الشعر قوله ابتداءً من غير روية ولا استعداد . ومن مترادفاته الابتداه والاقتراح والاقتضاب . وخَشْبُ الشعر واختشابه إرساله كما يجيء بلا تنوّق ، اي من غير تأنق فيه وتعمل له . فهو خشيبٌ ومخشوبٌ . قال الزمخشريُّ في الأساس : « كان الفرزدق ينقح الشعر وكان جرير يخشِبُ . وكان خشب جرير خيراً من تنقيح الفرزدق . وقال جندل :

« قد علم الراسخُ في العلم الأَرِبْ والشعراءُ أنني لا أختشِبْ
حسرى رذاياهم[1] ولكن أقتضِبْ

اي أبتدع » .

والإجازة هي ان يتم الشاعر بيتاً أنشد غيره مصراعاً منه . أو أن ينظم بيتاً أو أكثر على مثال بيت أو اكثر ، له أو لغيره ، ملتزماً بحره وقافيته . ويقال لها المماتنة والمساجلة والمعارضة والمحاضرة والمباراة . وموضوع الكلام ، في هذه المقالة ، ما وقع منها ارتجالاً بلا تريث ولا إبطاء . فلا يدخل فيه مايجيزه الشعراء على مهل وتأنٍ ، من باب الاحتذاء والمعارضة ، كما يفعلون بالتسميط أو التشطير والتخميس .

٢ الشك في إمكان الارتجال

ولا يخفى ان بعض الكتّاب في هذه الايام يشكّون في إمكان ارتجال الشعر

(١) حسرى جمع حسير اي كليل متعب . ورذايا جمع رذية مؤنث رذيّ بمعنى هزيل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ويطعنون في صحة مانراه في كتب الأدب من دعوى ارتجال الشعراء الجاهليين والمخضرمين والمولدين والمحدثين ، للأبيات والنُّتف[1] والقطع والقصائد المنسوبة اليهم . فيعدّونها دخيلةً او منحولةً او يزعمون ان أصحابها كانوا ينظمونها بعد سبق التروية والتفكير . ثم يستظهرونها ويحملونها على ظهور السنتهم وينشدونها في مجالس الخلفاء والملوك والامراء والوزراء . فيخيل الى سامعيهم انهم ارتجلوها ارتجالاً . ويشيع عنهم ذلك وتتناقله الالسنة ويصقله التواتر ، وهكذا يُعزى اليهم ما لم يكن فيهم ولا ادعوه قط .

٣ — هذا الشك يتناول الإجازة ايضاً

هذا ملخص ما يقوله المشككون في إمكان قرض الشعر ارتجالاً . وهو يتناول شكهم في الإجازة المرتجلة . فلا يصدّقون مايروى عنها . ويخرّجونه على وجوه مختلفة . فاذا ذُكرتَ لهم مثلاً حادثة ابي تمام الشاعر المشهور ، حين مثل بين يدي احمد بن المعتصم ، في حضرة الفيلسوف يعقوب بن الصبّاح الكنديّ ، وأنشد قصيدته السينية التي مطلعها : « ما في وقوفك ساعة من باس » وانتهى الى قوله :

إقدام عمرٍو في سماحة حاتمٍ في حلم احنفَ في ذكاء اياس

وقال له الكندي : « لقد شبهت الامير بمعاليك العرب » فأطرق ابو تمام هنيهةً وأنشد :

لا تنكروا ضربي له من دونهُ مثلاً شروداً في الندى والباسِ
فالله قد ضرب الأقلّ لنورهِ مثلاً من المشكاة والنبراسِ

قالوا لك « ليس بعيداً ان يكون ابو تمام ، لما نظم القصيدة وانتهى الى البيت الذي شبّه فيه ممدوحه بمن هم دونه ، قد تنبه الى مايرد عليه من الاعتراض فاستعد لدفعه بالبيتين اللذين حفظهما في ذهنه وأنشدهما بعد الاعتراض على وجه أوهمَ السامعين انه نطق بهما إجازةً مرتجلةً فأعجبوا بسرعة خاطره وحضور ذهنه » . وربما زادوا على ذلك قولهم ، تأييداً لرأيهم هذا ، ان ابا تمام كان مشهوراً بالتريث والابطاء في نظم الشعر .

(١) جمع نُتفة بضم النون . نُقل عن الفراء ان العرب تسمي البيت الواحد يتيماً والبيتين والثلاثة نتفة . أفاده الصبّان .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

واذا استشهدتَ على إمكان الإجازة المرتجلة بالشاعر مانٍ الموسوس الذي قيل انه سمع قول بعض الشعراء :

«حجبوها عن الرياح لأني قلتُ يا ريح بلغيها السلاما
لو رضوا بالحجاب هان ولكن منعوها عند الوداع الكلاما»

فقال من فوره مجيزاً :

«فتنفستُ ثم قلتُ لطيفي ويكَ إن جئتَ طيفها إلماما
حيّها بالسلام سرًّا وإلا منعوها لكيدهم ان تناما»

أجابوك قائلين ماالدليل على كونه قد نظم بيتيه من فوره ؟ ألايحتمل ان يكون قد نظمهما على انفراد وتروٍّ تذييلاً او معارضة للبيتين الاولين ؟ ».

٦ — اهم اسباب الارتياب

أ — تعذُّر الارتجال على بعض الكتاب

ولهم على مخالفتهم للمعروف من جهة ارتجال الشعر وارتيابهم في صحته أدلة كثيرة أهمها اثنان .

ففي الاول يقولون : « لقد اتخذنا للشعر عدته واستوفينا جميع الشروط لنظمه . فحذقنا علوم اللغة بأسرها . ووقفنا على مطولات علمي العروض والقوافي . وطالعنا كثيراً من دواوين فحول الشعراء وكتب البلغاء واذخرنا مالم يسهل على غيرنا حفظه من مفردات اللغة ومترادفاتها وتراكيبها الفصيحة وتعابيرها البليغة . ولما استكملنا الاهبة حاولنا النظم غير مرة فاعتاص علينا . ومع كل مابذلناه من الجهد في تدميث وعثه وتسهيل صعبه لانزال نراه شديد الشكيمة وخشن المركب . فاذا كان هذا شأنه معنا ونحن نزاوله في ترسُّل وتعمل واجهاد قريحة واستكداد ذهن فكيف نصدق انه كان يذل وينقاد لمن أتوه على البديهة بلا اقل استعداد ؟ »

ب — عدم شيوع الارتجال في هذه الايام

ويقولون في الثاني : « لو صح مايروى عن مرتجلات الشعراء الغابرين لوجدنا لها اثراً بين شعراء هذا العصر وفيهم نخبة من حملة لوائه والمجلين في مضماره . هؤلاء كلهم ينظمون

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فيه قصائد كالفرائد في القلائد . ويشنفون الآذان بما هو اغلى من الدر والعقيان . ويسكرون الاذهان براح البلاغة وسحر البيان . ومع ذلك لانسمع عنهم أنهم ابتدهوا قصيدة أو ارتجلوا قطعة او نتفة أو على الاقل أجازوا بيتاً او مصراعاً قبل أن يأخذوا نفساً أو يبلعوا ريقاً . »

٥ كلا الدليلين غير مقنع

ويرد عليهم في الاول ان عجزهم عن تذليل مطية الشعر لايصح أن يتخذ دليلاً على عدم هنوها ومطاوعتها لغيرهم . ومتى كان جهل الانسان لشيء دليلاً على عدم علم غيره به ؟ انما يصح ان يعد اعتياص الشعر عليهم دليلاً على فقدهم لملكته المعبر عنها بالقريحة . وغاية ما ينبغي ان يؤخذ من قولهم هذا انهم غير مخلوقين للشعر ولا مطبوعين عليه . و كونهم كذلك لا ينبغي ان يكون غيرهم بخلاف ماهم عليه . وجميع الشروط التي قالوا انهم استوفوها قد تكفي لأن تجعل الانسان ناظماً لاشاعراً .

ويرد عليهم في الثاني أن استقراءهم في مايتعلق بشعراء هذه الايام ناقص لايصح الاستناد اليه في الحكم على الشعراء الغابرين . وهبهم استطاعوا ان ينفوا قوة الارتجال عن شعرائنا المجيدين — وهو فوق استطاعتهم كما سيأتي — فليس ذلك بدليل على نفيها عمن تقدمهم في العصور السالفة . ومهما يبلغ من شدة براعة شعرائنا في نظم الشعر فان بينهم وبين الشعراء السابقين اختلافاً كبيراً في امور كثيرة تحول دون بلوغ المتأخرين شأو المتقدمين في النظم الارتجالي . واهم هذه الامور تغير احوال الزمان والمكان وتبدل وجوه الاجتماع والعمران . وترقي اساليب المعيشة وتنوع طرق التعليم والتهذيب وتشعب مسالك الكسب وطلب الرزق واتساع مسافة الفرق بين اللغة الفصحى واللهجات العامية الطامية ستيول ألفاظها وتعابيرها على الالسنة والشفاه وشيوع كثير من اللغات الاجنبية بين الناطقين بالضاد واضطرار اكثر الشعراء الى تعلم لغة او لغتين منها .

هذه كلها عرضت لما أوتيه فحول شعرائنا من قوة الابتداه والارتجال وحالت دون ظهورها فيهم بالمظهر الساطع الرائع الذي كانت تظهره في من تقدمهم . ومما زاد هذه العقبة الكؤود وعورةً ومشقةً عليهم أنه لم يتح لاحد منهم — كما أتيح لاكثر شعراء العهد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الماضي — ان يتخذ الشعر صناعة له يقتصر على احترافها وتعاطيها ليزداد بمواصلة مزاولته لقرض الشعر تمرساً به وتمرناً عليه حتى تظل فيه قوة الارتجال بكثرة الاستعمال محكمة الصقل متقنة الشحذ لا يصلد زندها ولا يكل افرندها .

ومع هذا كله لا يقصر اكثرهم عن الضرب بسهم كبير في ابتداء القريض فيأتونه في الاجازة وغيرها مرتجلين البيت والنتفة والقطعة الى ما يتجاوز العشرة وقد يبلغ العشرين ولو تهيأ لهم بعض الاسباب التي تهيأت للشعراء الغابرين لجاروهم في حلبة النظم الارتجالي وبرّزوا عليهم . وليعلم القارئ ان كاتب هذه السطور لا يقطع في صحة كل ما يروى من مرتجلات الشعر . ومن رأيه انه لابد للشاعر ، قبل الارتجال من بعض دقائق يقضيها في تصور المعنى واختيار اللفظ .

٦ — قالة المعنّى

ومما يؤيد قولنا هذا النظر الى قالة المعنّى . وهو شعر العامة في جبل لبنان وما حوله كالزجل في مصر . وله اوزان مخصوصة تقرب من اوزان أبحر الوافر والكامل والمتدارك في الشعر ويعرف قائله بالقوال . وما يقوله بالمطلع والقصيد . وهو في المعنّى كالحمل في الزجل . ومنه ضرب يعرف بالعديات او القراديات . ويراعى في نظمه القافية والمحافظة على الوزن بلا التفات الى صحة اللغة والإعراب . واكثر ما يقوله أربابه ارتجالاً فينظمونه متبادهين يجيبون بعضهم بعضاً على بحرٍ واحد وقافية واحدة متناولين جميع الفنون الشعرية من مدح وهجاء وفخر وحماسة وغزلٍ وحكمٍ ورثاء . ويلتزمون فيه اكثر ما يلتزمه الشعراء من البديع اللفظي والمعنوي والألغاز والمعميات وغيرها . وقد زاوله كثيرون من شعراء لبنان كالشيخ ناصيف اليازجي وبنيه الشيخ حبيب والشيخ ابراهيم والشيخ خليل وكان سلفي المرحوم الشيخ ابراهيم الحوراني من اكبر قالته واشهر فرسان ساحته وبين شعراء لبنان الآن عدد ليس بقليل من قالة المعنى الذين يشار اليهم بالبنان .

والذين يواظبون على قوله في هذه الايام لا يقلون عمن سبقهم فيه براعة وتفنناً وسرعة خاطر وفيض قريحة . وقد شهدت لهم عدة مجالس سمعت منهم فيها ما يطرب ويعجب ويقضي باشد مظاهر الحيرة والدهشة . واتفق مرة ان احدهم وهو الاديب اسعد الخوري القوال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الذائع الصيت اشار اليّ في احد مطالعه وبالغ في مدحي واطرائي . فلم يسعني الا ان أنشدت قصيدة في وصف الحفلة والثناء على براعة القوالين ولم افرغ من انشادها حتى اجابني من فوره بأبيات — من بحر قصيدتي وقافيتها — ان لم تكن من بليغ الشعر فليست من مبتذله ورديكه . ومما اذكره له قوله في مطلع قصيد :

« بك يراعك يبتسم زهر الندى وضحك حسامك في الوغى تبك العدى »

وكما استطاع قالة المعنى في هذه الايام ان ينظموه على البديه كما كان ينظمه قالته في القديم هكذا يستطيع شعراؤنا الآن ان ينظموا الشعر ارتجالاً متى ارادوا وتوافرت لهم الاسباب التي تهيأت لغيرهم في سالف الازمان .

٧ بعض أمثلة الشعر الارتجالي

وكُتب الأدب حافلة بالنتف والقطع والقصائد التي يقال إن الشعراء كانوا ينشدونها ارتجالاً اجابة لاقتراح خليفة أو ملك أو أمير أو وزير . فمن ذلك مايروى عن المعز بن باديس انه استدعى شاعريه ابا عبد الله بن شرف القيرواني وابن رشيق الأزدي واقترح عليهما ان ينظما بين يديه قطعتين في وصف الموز على قافية الغين . فلبيا من فورهما الطلب . وكان ما نظمه القيرواني :

« يا حبذا الموزُ وإسعاده من قبل أن يمضغه الماضغُ
لانَ الى أن لا مجسَّ له فالفم ملآنٌ به فارغُ
فانه لي مأكل طيب وانه لي مشربٌ سائغُ »

وكان ما نظمه ابن رشيق :

« موزٌ سريع اكله من قبل مضغ الماضغ
فمأكل لآكل ومشرب لسائغ
والفم من لين به ملآنُ مثل فارغ »

ومنه ان الشاعرين ابن قلاقس وابن المنجم صعدا مع جماعة الى سطح الجامع في القاهرة عند مغيب الشمس في آخر يوم من شهر رمضان . فاقترحوا عليهما ان ينظم كل منهما في وصف مايراه من غياب الشمس وظهور الهلال . فأطرق كل منهما مفكراً . وميّز ماقذفه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اليه بحر خاطره متخيراً ، ولم يكن الا كرجعة طَرف ، أو كوثبة طِرف[١] ، حتى أنشدا ، فقال ابن النجم :

« وعشاءٍ كأنما الأُفق فيه لازوردٌ مرصَّعٌ بنضارِ
قلتُ لما دنت من المغرب الشم ـ ـسُ ولاح الهلال للنظَّارِ
أقرض الشرق صنوه[٢] الغرب دينا راً فأعطاه الرهن نصف سوار »

وقال ابن قلاقس :

« لا تظنَّ الظلام قد اخذ الشمسَ وأعطى النهار هذا الهلالا
انما الشرق أقرض الغربَ دينا راً فأعطاه رهنه خلخالا »

وكلاهما رائع بليغ ، ولكن الاول أروع وأبلغ كما لا يخفى .

ومنه انه جرى نزاعٌ في الشعر بين ابن الذروي وهبة الله ابن الوزير وهما في حمَّام ، واتفقا ان يحكم بينهما احد الأدباء ، فاقترح عليهما ان ينظم كل منهما شعراً في وصف الحمام ، فيحكم بالأفضلية لمن يسمو وصفه على وصف الآخر ، فقال ابن الذروي :

« إنَّ عيش الحمّام عيشٌ هنيءٌ غير أنَّ المُقام فيه قليلُ
جنَّةٌ تُكره الإقامة فيها وجحيمٌ يطيب فيها الدخولُ
فكأن الغريقَ فيها كليمٌ[٣] وكأن الحريق[٤] فيها خليلُ »

وقال ابن الوزير بعد ريث وابطاء :

« لله يوم بحمَّام نعمتُ به والماء من حوضها[٥] مابيننا جارِ
كأنه فوق شفاف الرخام بها ماءٌ يسيل على أثواب قصَّارِ »

فانتقد عليه الحكم تشبيهه الماء بالماء ، واستبرده ابن الذروي فقال فيه :

« وشاعرٍ أوقد الطبع الذكاءُ له بل كاد يحرقه من فرط إذكاءِ
فقام يجهد في نظم رويَّته وفسَّر الماء بعد الجهد بالماء »

---

(١) الطَّرف بفتح الطاء العين ، والطِرف بكسرها الكريم من الخيل .
(٢) الصنو الاخ الشقيق . (٣) كليم الله موسى . (٤) المحروق ، ويراد بخليل ابراهيم خليل الله . (٥) الحمَّام مذكر وقد يؤنث كما في هذا البيت .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومنه ان المهديَّ خرج يوماً للصيد ومعه عليّ ابن سليمان وابو دلامة الشاعر . فرمى المهدي ظبياً فأصماه ورمى ابن سليمان فأصاب احد كلاب الصيد . فأمر المهدي ابا دلامة ان يقول بديهاً شيئاً في ذلك فارتجل :

« قد رمى المهديُّ ظبياً شكَّ بالسهم فؤاده
وعليٌّ بن سليما ن رمى كلباً فصاده
فهنيئاً لهما كلٌّ م أمريءٍ يأكل زاده

ومنه ان تميم بن جميل التغلبي عاث في بعض الأعمال وأمر المعتصم فجيءَ به اليه . فلما مثل بين يديه ورأى السيف والنطع معدَّين لقتله أراد المعتصم ان يعلم كيف منطقه . فقال له « تكلم » فقال بعد ماحمد الله ودعا للمعتصم « ان الذنوبَ تخرس الألسنة وتُعمي البصائر ، فلم يبق الا العفو أو الاقتصاص ، وأرجو ان يكون أقربهما مني أليقهما بك» . ثم ارتجل تسعة أبيات قال في مطلعها :

« أرى الموتَ بين النطع والسيف كامناً يلاحظني من حيث لا أتلفت »

ومنها :

« وما جزعي أني أموت وانني لأعلم ان الموتَ أمرٌ موقتُ
ولكن خلفي صبيةً قد تركتهم وأكبادهم من حسرةٍ تتفتتُ
كأني أراهم حين أُنعى اليهم وقد خمشوا تلك الوجوه وصوَّتوا
فان عشتُ عاشوا سالمين بغبطةٍ أذود الردى عنهم وان مت موّتوا »

فعفا عنه المعتصم وقلده عملاً .

ومنه ان جريراً دخل على الوليد بن عبد الملك وعنده عديّ بن الرقاع العاملي ينشده القصيدة التي يقول فيها :

« غلبَ المساميحَ الوليدُ سماحةً وكفى قريش المعضلات وسادها »

قال جرير : « فحسدته على أبيات منها حتى أنشد في صفة الظبية :

« تُزجي أغنَّ كأنَّ إبرةَ روقه »

ثم قطع الانشاد لتشاغل الخليفة عنه . فظننتُ انه قد أُرتج عليه . فقلت في نفسي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لقد وقع . وهو عاجز عن إتمام هذا التشبيه على وجه حسن مقبول ، ولكنه ما أبطأ ان قال : « قلم أصاب من الدواة مدادها » . واذ ذاك اخذ مني الحسد كل مأخذ وما قدرت أن أقيم فانصرفت » .

والحق يقال ان هذا التشبيه من اكبر معجزات البلاغة وسحر البيان ، ولو خامر قلب جرير أقل ريب في ارتجال ابن الرقاع لهذه القصيدة لم يتوقع عجزه عن اتمام البيت عندما أنشد صدره ولا حسده عليه بعدما أتمه .

ومنه ان ابا الفضل الدارمي سمر ليلةً مع بعض أصحابه وبين أيديهم شمعة ، فأفضى حديثهم الى وصفها ، وأطرق بعضهم لينظم فيها . فارتجل ابو الفضل :

سُمرنا فأذهبنا الهموم بشمعةٍ ... غنينا بها عن طلعة الشمس والبدر
أقول وجسمي ذائبٌ مثل جسمها ... ودمعتها الحرّي كما دمعتي تجري
كلانا لعمري ذوب نار من الهوى ... فنارك من جمرٍ ونارِيَ من هجر
وانكِ مثلي في مكابدة الأسا ... فصدرك في نارٍ ونارِيَ في صدري

وغير ذلك مما يضيق المقام دون استيفائه . وفي ديوان ابي الطيب المتنبيّ شيءٌ كثير من مرتجلاته وإجازاته في مجالس بدر بن عمّار وابي العشائر وسيف الدولة وغيرهم . وكلها تشهد له بانه كان من المجلّين في مضمار هذين الفنين .

٨ — بعض الاجازات المرتجلة

اما الاجازات المرتجلة فمن اقدم الامثلة عليها في كتب الأدب مانطالعه عن عبيد ابن الابرص المضري من فحول شعراء الجاهلية وحكمائها ودهاتها وأحد أصحاب القصائد المجمهرات المعدودة في الطبقة الثانية بعد المعلقات . فقد قيل انه لقي امرأ القيس يوماً وسأله « كيف معرفتك بالاوابد ؟ » أي القوافي الشرد . فأجابه : — « ما أحببت » فسأله عبيد :

« ماحيّة ميتة قامت بميتتها ... درداء ماأنبتت نابًا واضراسا ؟ »

فأجابه امرؤ القيس :

« تلك الشعيرة تسقى في سنابلها ... قد أخرجت بعد طول المكث أكداسا »

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم سأله عبيد :

« ما السود والبيض والاسماء واحدة لا يستطيع لهن الناس تمساسا »

فاجابه :

« تلك السحاب اذا الرحمن أنشأها روّى بها من محول الارض أبياسا »

ثم سأله :

« ما مرتجات على هول مراكبها يقطعن بعد المدى سيراً وإمراسا ؟ »

فاجابه :

« تلك النجوم إذا حانت مطالعها شبهتها في سواد الليل أقباسا »

ثم سأله بعد ذلك عن الرياح والمنايا والجياد والموازين فأجابه عن كل منها على المنوال المتقدم وكان مجموع أبيات السائل والمسؤول ستة عشر فاذا صحت هذه الرواية كان الفضل الاكبر فيها لامرئ القيس . فقد ابدى في أجوبته من شدة الذكاء وقوة العارضة وسرعة الخاطر مايحسد عليه .

ومنها ان النابغة الذبياني زار رجلاً . فتناول هذا كاساً وقال :

« تطيب نفوسنا لولا قذاها ونحتمل الجليس على اذاها »

فقال النابغة :

« قذاها ان صاحبها بخيل يحاسب نفسه بكم اشتراها »

ومنها أن زهير بن أبي سلمى نظم بيتاً وصدر بيت آخر وهما :

« تراك الارض إما مت خفاً [1] وتجيا ان حييت بها ثقيلا »

نزلت بمستقر العز منها »

ومر به — النابغة الذبياني فقال له : — « أجز يا أبا أمامة » . فاكدى اي امسك عن الجواب ثم أقبل ابنه كعب وهو بعد غلام . فقال له « أجز يا بني » فانشد :

« وتمنع جانبيها أن يزولا »

فضمه الى صدره وقبله وقال له : — « أنت ابن زهير حقاً ! »

---

(١) خفيفاً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومنها مايحكى عن جرير والفرزدق حين اجتمعا عند بشر بن مروان فقال لهما : انكما لقد تعارضتما الاشعار وتطالبتما الآثار وتقاولتما الفخار وتهاجيتما . فاما الهجاء فلا حاجة لي فيه . فدعا الآن مامضى . وجددا بين يدي الفخر متبادهين . » فقال الفرزدق :

(نحن السنام والمناسم غيرنا ومن ذا يسوى بالسنام المناسما [١]

فقال جرير :

على معقد الاعجاز انتم زعمتم وكل سنام تابعٌ للغلاصم [٢]

وقال الفرزدق :

(على محرض للفرس انتم زعمتم الا إن فوق الغلصمات الجماجما [٣])

فقال جرير :

(وانبأتمونا انكم هام قومكم ولا هام الا تابعٌ للخراطم [٤])

وقال الفرزدق :

(نحن الزمام القائم المقتدى به من الناس مازلنا فلسنا لهازما [٥])

فقال جرير :

(فنحن بنو زيد قطعنا زمامها فتاهت كسارٍ طائش الرأي عارم [٦])

فقال له بشر : « غلبته بقطعك للزمام وذهابك بالناقة . » ثم احسن جائزتهما وفضل جريراً . ويرى القارئ ان جريراً جارى الفرزدق في البحر والقافية وخالفه في حركة الروي فقط .

ومنها ان هذين الشاعرين اجتمعا هما والأخطل في مجلس عبد الملك . فاحضر بين

(١) السنام حدبة في ظهر البعير . وفلان سنام قومه اي كبيرهم والمناسم جمع منسم وهو خف البعير .

(٢) جمع غلصمة وهي اللحم بين الرأس والعنق . وهي ايضاً السادة والجماعة .

(٣) المحرض اسم مكان من جرضه اي خنقه . والفرس دق عنق الفريسة .

(٤) واحدها هامة اي الراس . (٥) جمع لهزمة وهي عظم تحت الاذن .

(٦) اسم فاعل من عرم الرجل اذا فارق القصد وخرج عن الحد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بين يديه كيساً فيه خمس مئة دينار وقال لهم : ليقل كل منكم بيتاً في مدح نفسه . فأيكم غلب فله الكيس . فبدر الفرزدق فقال :

انا القطران والشعراء جربى وفي القطران للجربى شفاء

وقال الاخطل :

فان تك زق زاملة فاني انا الطاعون ليس له دواء

فقال جرير :

انا الموت الذي يأتي عليكم فليس لهارب مني نجاء

فقال له عبد الملك : خذ الكيس فان الموت يأتي على كل شيء .

ومنها ان هؤلاء الثلاثة حضروا مجلس هشام بن عبد الملك ، فأمر باحضار ناقة وقال لهم : « نظمت مصراعاً في هذه الناقة ، فأيكم أجازه كما أريد فهي له . وهذا هو المصراع : (أنيخها ما بدا لي ثم أرحلها) » . فبدر جرير فقال :

(كأنها معتَنِقٌ[1] تعدو بصحراء)

فقال له هشام (لم تصنع شيئاً) . وقال الفرزدق : (كأنها كاسرٌ بالدوّ فتخاء[2])

فقال هشام : (ولا أنت) . فقال الأخطل : (ترخي المشافر واللحيين إرخاء[3]) .

فقال هشام : (اركبها بارك الله لك فيها) . وقد خالف الفرزدق رفيقيه في حركة الروي .

ومنها ان ابا تراب هبة الله بن السريجي لقي يوماً الشريف العباسي . وكانا كلاهما شاعرين . فقال ابو تراب :

أسلوتَ حبَّ بدور[4] ام تتجلّد وسهرتَ ليلك ام جفونك ترقد ؟

فأجاب الشريف بديهاً :

لا بل هُمُ ألفوا القطيعة مثل ما ألفوا نزولهم بها فتبعّدوا

---

(١) من أعتق الرجل فرسه أي أعجلها . (٢) الدوّ المفازة ، والفتخاء العقاب اللينة الجناح . (٣) المشافر جمع مشفر شفة البعير ، واللحيان عظما الحنك اللذان عليهما الاسنان . (٤) علم لامرأة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فقال ابو تراب :

فإلامَ تصبر والفؤاد متيمٌ ولظى اشتياقك في الحشى يتوقد ؟

فأجاب الشريف :

ما دام لي جلد فلست بجازعٍ إذ كان صبري في العواقب يحمد

فقال ابو تراب :

أحسنتَ : كتمانُ الغرام فضيلةٌ لو كان دمع العين مما يجمدُ

فأجاب الشريف :

ان كان جفني فاضحي بدموعه أظهرتُ للجلساء أني أرمدُ

فقال ابو تراب :

فهب الدموع اذا جرت أخفيتَها فيقال لِمْ أنفاسه تتصعد ؟

فأجاب الشريف :

أمشي وأُسرع كي يظنوا أنها من ذلك المشي السريع توأَدُ

وهي طويلة اكتفيت بذكر ما تقدم منها .

ومنها ان الشيخ الزنجبيلي دخل ذات ليلة على الفاضل المكي يعوده من مرض ، ولم يكن في غرفته مصباح ، فقال الزنجبيلي متمثلاً ببيت يقال انه لمنصور التميمي المعروف بابن الحلاج وهو :

ان بيتاً انت ساكنه غير محتاج الى السُّرُجِ

فأجابه المكي من فوره :

ومريضاً انت عائده قد أتاه الله بالفرجِ

ومنها ان المعتمد بن عبّاد صاحب قرطبة واشبيلية وما والاهما من الاندلس خرج يوماً يتنزه في مكان يقال له مرج الذهب ومعه وزيره ابوبكر بن عمّار الملقب بذي الوزارتين فجلسا على شاطئ غدير ، واذا بالريح قد هبّت على الغدير فتجعّد ماؤه . فقال المعتمد :

« نسج الريح على الماء زرد »

وحاول ابن بثم البيت فلم يستطع ، فأهاب بوزيره ابن عمار وكان شاعراً مجيداً ، وقال

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

له : « أجز ماقلت » ، فأقرد اي سكت عيًا . وكان على مقربة منها جارية اسمها عماد وتعرف بالرميكية ، فسمعت كلامها وقالت من فورها : « باله درعًا منيعًا لو جمد » فتعجب المعتمد من شدة بداهتها وجودة نظمها ، ولم يلبث ان تزوجها .

ودخل يحيى بن خالد حديقة قصره ومعه جاريته دنانير ، فرأى وردًا نضيرًا فقال : أجيزي يادنانير :

الورد أحسنُ منظرًا فتمتعوا باللحظ منه

فقالت مسرعة :

فاذا انقضت ايامه فالورد انت تنوب عنه

وخرج الحسن بن الضحاك وابو العتاهية ، فاذا بامرأة تبكي ولدًا لها . فقال ابو العتاهية :

فما تنفك باكية بعين غزير دمعها كمدًا حشاها

فقال الحسن :

تنادي حفرة أعيت جوابًا فقد ولهت وضُمّ بها صداها

وسمع احمد بن يوسف الشاعر قينة تغني :

أناس مضوا كانوا اذا ذُكرَ الأُلى مضوا قبلهم صلوا عليهم وسلموا

فقال أحمد مجيزًا :

وما نحن الاّ مثلهم غير اننا أقمنا قليلاً بعدهم فتقدّموا

وقال ابو نواس يومًا لجماعة من الشعراء : أجيزوا قولي — (عذب الماء وطابا) فأجابه ابو العتاهية على البديه : (حبذا الماء شرابا) .

ورأى ابو نواس الجارية عنان في بعض ايام الربيع ، فقال لها : (أجيزي ياعنان)

كل يوم عن أقحوانٍ جديدٍ تضحك الارض من بكاء السماء

فقالت من فورها :

فهي كالوشي من ثياب عروسٍ جلبته التجار من صنعاء

ورآها يومًا تبكي وكان مولاها قد ضربها فقال :

بكت عنان فجرى دمعها كلولؤ ينسلُّ من خيطه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فقالت : فليتَ من يضربها ظالماً تجفُّ يمناه على سوطه

ودخل رجل ذات ليلةٍ على ابي بكر البكيّ ، فأنكره وسأله عن صناعته ، فأجابه : (اني شاعر) فأراد ابوبكر امتحانه ، ونظر الى شيءٍ يصفه فلم يجد غير المصباح ، فقال للرجل أجز :

ومصباح كأن الضوء فيه محيا من أُحب اذا تجلى

فقال الرجل مسرعاً :

أشار الى الدجى بلسان أفعى فشمر ذيله هرباً وولى

وهذه الامثلة على كثرتها ليست الا قطرة من بحر الاجازات الزاخر وكلها تشهد للشعراء الغابرين بقوة العارضة وسرعة الخاطر .

وكان الشاعران الشيخ ابو الحسن الكستي والشيخ ابراهيم الحوراني كثيراً مايجتمعان في بيت ثانيهما في بيروت يتبادهان الشعر في مواضيع مختلفة ومعهما جماعة من اهل الأدب حتى كان منزل الحوراني في تلك الايام اشبه شيءٍ بسوق عكاظ . ومن الأسف ان طائفة كبيرة مما كانا يرتجلانه ويجيزانه فقدت ولم يعن الذين سمعوها بكتابتها . فمن ذلك أنه اقترح عليهما ان يصفا رجلاً طويل القامة ضخم الجثة كبير الملامح . فقال الحوراني :

(هزيّ قدّاً علوه الف متر)

فاجازه الكستي بقوله : فوقه هامة كجلمود صخر

وقال الحوراني : (ذو ثغير كالبحر يفتر عجباً)

فاطرق الكستي هنيهة . واشفق الحضور ان يعجز عن التكملة . ولكنه ماعتم ان نهض واقفاً واسترعى السمع وقال :

(عن ثنايا تنسيك أهرام مصر)

وحقاً ان اجازة البيت الثاني من اكبر ضروب الإعجاز . لأن من يكون فمه في سعة البحر فأخلق بأسنانه ان تكون أضخم من اهرام مصر !

وفي ربيع سنة ١٩٠١ كنت في بيروت . فزرت سلفي الحوراني . فرأيته يتأهب للذهاب الى المدرسة البطريركية للروم الكاثوليك لإلقاء خطبة في احتفالها السنوي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكان استاذ البيان في تلك المدرسة فصحبته في المركبة . وفي اثناء الطريق نظرت اليه فاذا به واجم على خلاف عادته وهو يشكو صداعاً وضعفاً في ذاكرته فاردت مداعبته . وقلت اجز ياعديل [1] :

(أسفاً عليها ذاكره)

فأجازه من فوره بقوله : (سكنت ديار الآخره)

وقلت : (كانت تدور على النهى)

فقال : (دارت عليها الدائره)

القاهرة : اسعد خليل داغر

(١) يطلق العديل عند بعض المتأخرين على السلف . وسلف الرجل زوج اخت امرأته .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

رحلة الى دير الزور والجزيرة[1]

—((0))—

اذا انطلقت بك السيارة من دمشق تنهب الارض نهباً تحت ظلال مسوق الشجر العظام في الغوطة فتذكرت قول ابن قيس الرُّقيّات :

احلك الله والخليفة بالغوطة داراً بها بنو الحكم
المانعو الجار ان يضام فما جارٌ دعا فيهم بمهتضم

ثم اشتباك قوله بعد حين :

اقفرت منهم الفراديس فالغو — طة ذات القُرى وذات الظلال
فضمير فالماطرون فحورا ن فقفار بسابس الأطلال

ثم اجتزت دومة وودعت الغوطة في ثنية العُقاب حيث وقف خالد بن الوليد ساعة ناشراً راية العقاب في وجه ذاك السهل الأفيح وقلت مع حسان بن ثابت :

لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلق في الزمان الاول

وأعدت الى الذاكرة قصيدة حسان بن نمير وجعلتها وداعاً لدمشق والغوطة :

وكم ليلة بالماطرون قطعتها ويوم الى الميطور وهو مطير
سقى الله من سطرا ومقرا منازلاً بها للندامى نظرة وسرور
ولا زال ظل النيربين فأنه طويل ويوم المرء فيه قصير
ويا بردى لا زال ماؤك بارداً وماء الحيا من ساحتيك نمير
ابى العيش الا بين اكناف جلق وقد لاح فيها أشمس وبدور

(١) محاضرة القاها الاستاذ الامير مصطفى الشهابي في ردهة المجمع العلمي العربي في ٢١ شباط سنة ١٩٣٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثم داومت المسير الى القطيفة فجرود فالناصرية فانت اذاً في باب الصحراء قُبالة القسم الشرقي من سنير وهو الجبل الذي يسميه الفرنج «لبنان الشرقي» والذي قال فيه البحتري :

وتعمدت ان تظلّ ركابي بين لُبنان طُمّعاً والسنير
مشرفات على دمشق وقد اعـ ـرض منها بياضُ تلك القصور

فقل للسائق بعدئذ ان يغذي السيارة بالبنزين وان يدعها تسبح في فضاء الله الواسع، واغرق انت في أحلامك فان عينك لن تقع على منظر جديد حتى تبدو لك اشجار القريتين، وانت على بعد ١٢٦ كيلو متراً من دمشق، والقريتان هي البلدة التي عناها قيس الرقيات بقوله :

وسرت بلمتي اليك من الشام وحورانُ دونها والعَويرُ
وسُواء وقريتان وعين التمر خرقٌ يكِلُّ فيه البعير

ثم عد الى أحلامك وذكرياتك لأن أمامك بين القريتين وتدمر ١٠٤ كيلو مترات من القفر يمتد على طولها من الجانبين جبلان صغيران لا ينتهيان الا في تدمر. ومتى أدركت تلك المدينة القديمة فقف خاشعاً لان هنالك كان المجد والعظمة والأبهة ورخاء العيش والثراء العريض، تلوح كلها في بقايا قصور تدمرية ورومانية لم يقو الدهر على طمس أثرها حتى اليوم، فالهيكل الكبير وعظمته، والشارع الذي كان يُنصّف المدينة وعلى كل من جانبيه نحو ٣٧٥ عموداً يحمل كل منها تمثالاً لرجل من رجالاتها المشهورين، ثم القبور التي فاقت القصور بضخامة بنيانها وجلاء رُخامها وزخرف تماثيلها، ثم تلك الاصباغ المختلفة الألوان في جدران المدافن وسقوفها وفي اقراط التماثيل وتلائدها وذاك الكحال في عيونها وتلك الحمرة في خدودها حتى لكأن الصباغين قد خرجوا من وشيها البارحة، كل هذه وأمثالها تسلب الانسان لبه وتدعه حائراً مشدوهاً، فلا عجب إذن ان تزعم طائفة من الأقدمين ان تدمر هي مما بنته الجن لسليمان، وان يقول فيها النابغة الذبياني البيتين المعروفين :

الا سليمان اذ قال الاله له قم في البرية فاحددها عن الفند
وجيّش الجنّ اني قد امرتُهمُ يبنون تدمر بالصفّاح والعَمد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لقد أتى الدهر على من بنوا عروس الصحراء وسيأتي على مابنوه ، ولله در القائل في تلك التصاوير :

ومن كل أنواع الأنام مصوَّر ... شباب وشمط يرحون وشيب
ومجلس أُنس يفسح الطرفَ ملؤه ... قيان تغني وسطه وشروب
وصرعى وقتلى في قتال عساكر ... تحول حصون دونهم ودروب
فمن جانب أضحت تُصب مدامة ... ومن جانب أضحت تُشَبُّ حروب
خليطان هذا للقراع معبس ... يصول وهذا للسماع طروب
وقد حققوا التصوير حتى وجوههم ... يبين لنا بشرٌ بها وقطوب
وكل يعاني شغله غير انه ... على فمه دون الكلام رقيب
ملاعب فيها الملك رامٌ بطرفه ... وكل ابن دنيا ان نظرت لعوب
وعاشوا طويلاً ثم فرق شملهم ... زمان اكول للأنام شروب
فلولا مكان الدين قلَّ لفقدهم ... بكاء لنا في إثرهم ونحيب
ملوك أقاموا ما أقاموا أعزة ... وقد شعبتهم بعد ذاك شعوب
وخيل للرائي ليذكر عهدهم ... خيال لعمري ان رأيت عجيب
خيال لهم يهدي الى كل أُمة ... لقصد اعتبار ان رآه لبيب

وقم في صباح اليوم الثاني فودع اطلال تدمر وقل لسائق السيارة ان يَغِذَّ السير فانت لاتزال بعيداً عن الدير ذلك ان بين تدمر وقرية السخنة ٧٥ كيلو متراً وبين السخنة ودير الزور ١٥٠ كيلو متراً كلها ارض قفراء لايبطل عليها الا قليل من المطر وليس فيها نهر او قناة ، فلا زرع ولا ضرع ولا شجر ولا انيس سوى ابل البدو المشرقين ، وهي في الحقيقة ادعى الى الوحشة في تلك البيداء الموحشة لأن الانسان يرافق الابل .

عوى الذئب فاستأنست بالذئب اذ عوى ... وصوت انسان فكدت اطير

وكيف لاتقول للسائق ان يطير بسيارته وهو فتى كالحمل وانت لاتحمل سكيناً تصلح لتقشير برتقالة ، وللبدو في مملكتهم الواسعة منظر كمنظر العفاريت المتوائبة ، وهم اذا ماحدقوا اليك خاتهم قاتليك لا محالة ، ولكنهم قوم فطروا على الذكاء وبعد النظر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فتكفيهم نظرة يلقون بها عليك من بعيد حتى يدركوا من يمكن ان تكون ، فيحجموا عن الشر حاسبين للمستقبل الف حساب .

ومتى تركت ورائك هذا القفر واشرفت على الفرات ومزارعه وسفنه ، وبدت لك عن بعد مآذن دير الزور فقد آن لك ان تحط الرحال وتستريح وان تقول مع الصنوبري :

ايا سفن الفرات بحيث تهوي هُويَّ الطير بين الجلهتين
تطارد مقبلات مدبرات على عجل تطارد عسكرين
ترانا واصليك كما عهدنا بوصل لا ننغصه ببين

ولواء دير الزور اوالفرات والجزيرة ارض مترامية الأطراف ، كانت ولاية من ولايات الدول العربية . وهو يقع بين الدرجة ٤٣ و٤٦٫٥ من درجات الطول الجغرافي والدرجة ٣٨٫٢٥ و٤١٫٢٥ من درجات العرض . وتزيد مساحته على ٦٠٠٠٠ كيلو متر مربع . اما عدد سكانه فمجهول لأنهم لم يحصوا الى اليوم ، ويقدرونهم بثلاثمائة الف نسمة ونيف من بدو وحضر ، فيصيب الكيلومتر المربع الواحد خمسة اشخاص وهو عدد ضئيل .

وللجزيرة اسماء قديمة مشهورة منها ديار ربيعة وديار مضر ، وكان العرب يحلون بواديها قبل الاسلام وكثيراً ماخالطوا قراها وكثروا فيها وحاربوا سكانها . وقد استولى عليها العرب وانتزعوها من الاعاجم في السنة السابعة عشرة من الهجرة بقيادة عياض بن غنم الفهري ويقول المؤرخون إنها كانت من اسهل البلاد افتتاحاً لأنها تقع بين العراق والشام وكان كلاهما بيد المسلمين فاذعن اهلها بالطاعة ، وذكروا ان الروم حاصروا ابا عبيدة بن الجراح والمسلمين بحمص ، فامدهم سعد بن ابي وقاص بجيش من العراق يقوده عياض بن غنم فلما علم بهم الروم رجعوا عن حمص الي بلادهم فغزا عياض الجزيرة فافتتحها وقال :

من مبلغ الأقوام ان جموعنا حوت الجزيرة غير ذات رجام
جمعوا الجزيرة والغياب فنفسوا عمن بحمص غيابة القدام
ان الأعزة والأكارم معشر فضوا الجزيرة عن فراج الهام
غلبوا الملوك على الجزيرة فانتهوا عن غزو من يأوي بلاد الشام

وخلصت الجزيرة للعرب الى يومنا هذا الا بعض القرى الشمالية الشرقية ، حيث يقطن بعض العشائر الكردية ، والا عدداً كبيراً من القرى الواقعة شمالي سكة بغداد الحديدية

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فانها ظلت بيد الترك وهم جادون في تتريك سكانها تارةً بالارغاب وطوراً بالارهاب ·

قال ياقوت في معجم البلدان «والجزيرة صحيحة الهواء جيدة الربع والماء واسعة الخيرات بها مدن جليلة وحصون وقلاع كثيرة ومن امهات مدنها حران والرها والرقة ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وآمد وميافارقين والموصل وغير ذلك · وقد صنف لأهلها تواريخ وخرج منها أئمة وفيها قيل :

نحن الى ارض الجزيرة قبلة وفيها غزال ساجي الطرف ساهره

يؤازره قلبي علي وليس لي يدان بمن قلبي علي يؤازره » انتهى

وجميع تلك المدن هي اليوم بلدان صغيرة او متوسطة عدا الموصل · ومعظمها تابعة للعراق او تركية ولا يتبع الشام منها سوى رأس العين والرقة والخابور · ومن الغريب ان نصيبين نفسها قد تركت لتركية في معاهدة انقرة مع انها واقعة جنوبي السكة الحديدية · ويقال ان سبب ذلك غلطة غلطها الذين نابوا عن الشام في وضع تلك المعاهدة ·

وكانت الجزيرة من اغنى الولايات في عهد الخلفاء والملوك العرب ، وكان فيها لبعضهم قصور يقيمون بها في بعض فصول السنة كقصر الرصافة الواقع غربي الرقة على طرف البرية ، وقد جدده هشام بن عبد الملك · وكقصر الرقة الذي يظن انه كان لهرون الرشيد وغيرهما ·

حدود اللواء وترابه وهواؤه ·— يحد لواء دير الزور والجزيرة شرقاً ارض العراق وشمالاً ارض الجمهورية التركية وقضاء جرابلس ، وغرباً قضاء منبج فلواء حمص وجنوباً بادية الشام والعراق · واذا سرنا على خط حدوده مبتدئين من جنوبي ابي كمال ومتجهين نحو الشمال الشرقي فان اهم مانصادفه على تلك الحدود مملحة العديد فجبل سنجار فالدجلة بالقرب من فيشخابور فجزيرة ابن عمر فنصيبين (وعلى الطريق الروماني القديم الواقع بينهما ثار الخلاف الذي تعلمونه بين فرنسة وتركية) فسكة بغداد الحديدية فحدود قضاء جرابلس بين كول تبه على السكة المذكورة وتل شمس الدين على الفرات فالفرات بين تل شمس الدين ودبسي جنوبي مسكنة فاسرية في الشمال الشرقي من جبل البلعاس فعين الكوم غرباً فالخان الجديد غربي قرية السخنة فحدود العراق جنوباً ·

واذا امعنتم النظر في هذه المساحة الواسعة التي تزيد على ٦٠٠٠٠ كيلو متر مربع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كما قلت ادركتم مايمكن ان يكون لهذا اللواء من الشأن اذا صحت العزيمة على تعهده بمختلف العنايات ٠

وتنسب معظم ارضه جيولوجياً الى العهد الميوسيني والبليوسيني من الحقبة الثالثية عدا واديي الفرات فأن ارضه من راسبات الحقبة الرابعية وعدا بعض ارضين بركانية متفرقة واخرى طباشيرية ٠ وتراب وادي الفرات كامل من حيث بناؤه الطبيعي اي ان مقدار الكلس والطين والرمل فيه يجعله صالحاً لزراعة مختلف الزروع والأشجار ٠ وهو غني بالعناصر الغذائية ايضاً من آزوت وحامض فوسفوريك وبوطاس ، وسببه مايحمله النهر منها في طميه ٠ والتراب جيد ايضاً حول الخابور والبليخ والجغجغ والرد ٠ اما في الانحاء السائرة فالتراب يختلف باختلاف المواقع فتراه رملياً في بعضها لا اندماج فيه ولا صلابة تطير به سافيات الريح فتتكون من مجموعه كثبان صغار ٠ وتكثر هذه الأتربة الرملية بين السخنة ودير الزور وفي بقاع كثيرة من بادية الجزيرة بين الخابور والفرات ٠ وترى التراب رملياً كلسياً أو رملياً طينياً حول الجغجغ والخابور أو كلسياً رملياً ابيض اللون بالقرب من الصالحية جنوبي الميادين أو بالقرب من الحسكة عند مصب الجغجغ في الخابور وفي اماكن أخرى عديدة ٠ وهواء هذا اللواء جاف في الجملة وحرارته في الصيف شديدة ربما أربت في بعض الأيام على ٤٥ درجة في الظل ٠ وهي تختلف فيه بين ٣٠ و٤٠ درجة إجمالاً ٠ لكنها في الشتاء تهبط الى مادون الصفر ببضع درجات أحياناً ولهذا لا ترى في ارض اللواء نخيلاً ٠ وهو من حيث الأمطار ينقسم قسمين : الأول القسم الواقع شمالي خط يمتد من مسكنة الى تل السمن على البليخ فجبل عبد العزيز فالحسكة ، فامتداد نهر الرد ، فحدود الشام على ضفة دجلة ٠ فأرض هذا القسم الواقعة شمالي الخط المذكور يبلغ ارتفاع أمطارها السنوية ٢٠٠ — ٥٠٠ ميليمتر فهي إذن صالحة في الجملة لزراعة الحبوب الشتوية عذياً بلا إسقاء ٠ اما القسم الواقع جنوبي ذلك الخط فأمطاره قليلة لاتكفي لزرع الحبوب في البعل من الارض ولذلك ترونها مقفرة من السكان على اتساعها الا على ضفاف الأنهر الكبيرة حيث تسقى الزروع بمياه تلك الأنهر ٠ وقد قيس ارتفاع الأمطار في مدينة دير الزور خلال ثلاث سنين وهي ١٩٢٦ الى ٩٢٧ و٩٢٧ الى ٩٢٨ و٩٢٨ الى ٩٢٩ فبلغ في كل منها ١٥٥ و١٠٠ و١٣٩ ميليمتراً وهي مقادير لاتكفي لزراعة الحبوب الشتوية ٠

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والأمطار التي تهطل بين قرية القرمانيـة ونهر دجلة هي غزيرة تكفي لزرع زروع صيفية بدون إسقاء كالذرة البيضاء والسمسم والبطيخ والقثاء . لكن هذه الكورة ضيقة المساحة اذا قيست بمساحة اللواء العظيمة ومع هذا فان فيها عشرات من القرى العامرة . أما الأمطار بين رأس العين ومسكنة فهي متوسطة ويمكن هنـالك تأسيس مئات من القرى تعيش على المطر . ويعوز هذه الناحية استتباب الأمن على حدود الأتراك .

جبال اللواء وسهوله وأنهـاره — جميع ارض اللواء سهول لا يحدُّها الطرف عدا ثلاثة جبال كبيرة المساحة قليلة الارتفاع وهي جبل البشر في الشامية اي في الجهة الغربية من الفرات ويظهر ان هذا الجبل يحتوي على معدن من الحمر والقار لم استطع درسه لضيق الوقت ، وفيه مياه كبريتية في بعض أطرافه . وجاء في معجم البلدان ان في جبل البشر اربعة معادن : معدن القار والمغرة والطين الذي يعمل منه البواتق التي يسبك فيها الحديد والرمل الأبيض كالاسفيداج الذي يعمل منـه الزُجاج في حلب . وقال إنه من منازل تغلب بن وائل . قال عبيد الله بن قيس الرُّقيّات :

أضحت رُقَيَّة دونها البشر فالرقّة السوداء فالغمر

بل ليت شعري كيف مربعها وبأهلها الأيام والدهر انتهى

والجبل الثاني يسمى جبل عبد العزيز وهو يقع في قلب الجزيرة في الشمال الغربي من قرية الحسكة وفي جنوبي قرية رأس العين طوله نحو مائة كيلومتر وعرضه نحو ٢٠ كيلومتراً وقد صعدت في احدى نواحيه وسرت بين أشجار البطم النابتة نباتاً طبيعياً في ارضه . وذكر لي احد الذين اختبروه ان فيه حراجاً واسعة من أشجار البطم الملتفة تفوق حراج جبل البلعاس شرقي سلمية .

اما الجبل الثالث فهو جبل سنجار وقسم كبير منه تابع للعراق . وثمة جبـال أخرى لا شأن لها وتلال عديدة . وأهم الأنهار الفرات والخابور والجغجغ والبليخ . فاما الفرات فانه يجري في تركية (حيث منبعه) والشام والعراق . ويبلغ طول مجراه في الشام بين جرابلس والبوكال نحو ٤٠٠ كيلومتر دون حساب تعرجاته الكثيرة وهي ضعفـا طوله ويسير في ارض قليلة الانحدار (١/١٣٥٠٠ تقريباً) ولهذا تتزايد سرعة مائه في الصيف والخريف على (٤) كيلومترات في الساعة . ومجراه عريض لا يضيق الا عند جبل البشر

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بين قرية تبني وقصر معدان حيث القلعتان القديمتان اللتـان كانتا ايام الفرس الأقدمين وهما تسميان اليوم حلبية وزلبية . ويظن ان هنالك كانت مدينة الزباء . وعرض الفرات في غير ايام الفيضان ٢٥٠ — ٣٠٠ متر . فاذا طغى في الربيع زاد عرضه على ٦٠٠ متر وربما زاد على خمسة كيلومترات في بعض السنين وهذا نادر . ومقدار الماء الذي ينصب منه في الثانية يختلف مع شهور السنة . ففي ايلول وتشرين الاول لا يزيد هذا المقدار على ٣٠٠ متر مكعب اما في زمن ذوبان الثلوج أي في آذار ونيسان فانه يبلغ ٢٥٠٠ متر مكعب . ومن روافده الخابور والبليخ .

فالخابور نهر عظيم هو دون الفرات لكنه اكبر من العاصي نبعه في رأس العين وينضم اليه عدد من الانهار تأتيه من جبال الاناضول كالزرقاني وعرادة وجرجب والجغجغ وغيرها . والجغجغ هذا يُصب ماؤه في الخابور في بلدة الحسكة . ولعله النهر الذي كان يسمى نهر الهرماس قال ياقوت : « هو نهر نصيبين مخرجه من عين بينها وبين نصيبين ستة فراسخ مسدودةٍ بالحجارة والرصاص ... وفاضل مائه يصب الى الخابور » . وقال : « وينضاف الى الخابور فاضل الهرماس ومدّ وهو نهر نصيبين فيصير الخابور نهراً كبيراً يمتد فيسقي هذه البلاد ثم ينتهي الى قرقيسياء فيَصب عندها في الفرات » قلت ولعل نهر مدّ الذي ذكره ياقوت هو نهر الرد اليوم وهو من جملة الأنهر العديدة التي تصب في الجغجغ قبل ان ينتهي الى الخابور . اما قرقيسياء فانها بلدة البصيرة اليوم .

وطول الخابور من مخرجه الى مصبه ٢٦٠ كيلومتراً تقريباً وقد كان له في التاريخ شأن كبير حتى ان اسمه غلب على الارض التي يسقيها فنسبت اليه وكانت ولاية واسعة وبُلداناً جمة . وورد ذكره في أبيات أُخت الوليد بن طريف ترثي اخاها :

ايا شجر الخـابور مالك مورقًا كأنك لم تجزع على ابن طريف
فتى لا يحب الزاد الا من التقى ولا المال الا من قنى وسيوف

وقال الربيع بن ابي الحُقَيْق من بني قُريظة :

دور عفت بقرى الخابور غيَّرها بعد الانيس سوافي الريح والمطرُ
ان تمس دارك ممن كان يسكنها وحشًا فذاك صروف الدهر والغيرُ

وقال ابن الأعرابي :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

رأت ناقتي ماء الفرات وطيبه أمرَّ من الدّفلى الذعاف وامقرا
وحنت الى الخابور لما رأت به صياح النبيط والسفينَ المقيّرا
فقلت لها بعض الخير فان بي كوجدك الا انني كنت اصبرا

واما البليخ فقد سمعت الفلاحين عن ضفافه يسمونه نهر الذهب لأنه صغير يسهل انشاء سدود عليه وهو يعلو ارضين واسعة فيسقيها بأهون وسيلة . وهذا النهر دون الخابور لكنه اكبر من بردى . وهو مجتمع عيون كثيرة اهمها عين في حران . وتجتمع العيون في قرية عين عيسى او عين العروس . وطول البليخ مائة كيلو متر ونيف ومصبه في الفرات في الشرق الجنوبي من الرقة . وذكروا ان مسلمة بن عبد الملك بنى على هذا النهر حصناً اسفله قدر جريب وارتفاعه في الهواء اكثر من خمسين ذراعاً واجرى الماء تحته فاذا خرج من تحت الحصن يسمى بليخاً . ويتشعب من ذلك الموضع انهار تسقي بساتين وقرى . وقال ابو نواس :

على شاطي البليخ وساكنيه سلام مسلم لقي الحماما

وكان عند مصب البليخ في الفرات دير يسمى ديرزكّى وفيه يقول الرشيد .

سلام على الغازح المغترب تحية صب به مكتئب
غزال مراتعه بالبليخ — الى ديرزكّى فجسر الخشب

حيواناته ونباتاته ومعادنه . — لا تختلف دواب اللواء البرية وطيوره عما يوجد منها في انحاء الشام . وتكثر الغزلان سواء في الجهة الشامية ام في الجزيرة . وغزلان الشامية تضرب الى اللون الرمادي اما غزلان الجزيرة فالى حمرة . ويوجد كلب الماء في الأنهار الكبيرة كالفرات والخابور والجغجغ . وهو احمر اللون يبلغ طوله ٦٠ — ٨٠ سنتيمتراً شعره ناعم مرغوب فيه ويساوي جلده اكثر من ليرة ذهبية . وفي جبل عبد العزيز قليل من الاوعال سائرة نحو الاندثار كما اندثر حمار الزرد . وفي بعض الادغال حول الفرات خنازير برية يجب اتقاء شرها . اما الحيوانات المفترسة فاهمها الذئب والضبع والثعلب وابن آوى . ويكثر من سباع الطير الصقر والبازي والشاهين والعُقاب والباشق، ومن غيرها القطاة والكركي والحبارى والبط البري الاسود والوز وملك الحزين والزرزور والحجل والحمام البري والزاغ وغيرها . والقطا تشتي في البادية اذ تجد ما تشربه في ذاك الفصل .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وتربع وتصيف بالقرب من الانهار الكبيرة ، وهي تكثر في بعض السنين كثرة هائلة فتضر بالزروع ضرراً فادحاً . اماالزرازير والزاغ فانها تدأب على التنقير عن البزور التي بذرت قبل ان تنتش فتأكل منها مقداراً . وهي تكثر في اطراف الجزيرة شمالا .

ومن النباتات الطبيعية التي تلفت النظر حراج مهمة من الطرفاء حوالي قرية السبخة ومساحات واسعة من عرق السوس في اطراف الرقة من الجهة الشامية ، حيث تقتلع منه شركة فوربس الاميركية وغيرها مئات من القناطير سنوياً ، فتسحقها وتصدرها الى الولايات المتحدة الاميركية . وينبت الحور الفراتي « الغرب » طبيعياً على ضفاف الفرات وفي الجزر الصغيرة التي تتكون من تبدل مجراه فيسوّق ويتفرع بسرعة عجيبة . وهم يستعملونه وقوداً في الشتاء كما يستعملونه في بعض المصنوعات الخشبية . ومن النباتات المضرة التي تكسو الارض في وادي الفرات الجمبوط او «الخرينية» Prosopis وهو من الفصيلة القرنية له جذور غلاظ تضرب في الارض الى غور بعيد فيشق على محراثنا استئصالها . ومما يصادفه المرء فيه الشوفان البري والبابونج والخردل البري وغيرها . اما في البادية فالشيح والسنيبلة والروثة والحرمل والعاقول واضرابها من نباتات بادية الشام التي تقتات منها الابل .

ولا يوجد في الجزيرة بل لا يوجد في بلاد الشام معادن مهمة اقتصادياً « خلا املاح البحر الميت ومعدن الحمر في حاصبيا » ولكم اشاد المؤلفون بذكر معادن الشام وأنواعها العديدة . والحقيقة أن هذه المعادن على كثرة انواعها ليست مما يلتفت اليه ، لان استخراجها وعزلها عن العناصر الاجنبية المختلطة بها ، ونقلها الى الاسواق التجارية ، تجعلها غير مفيدة من الوجهة الاقتصادية ، او تجعل فائدتها قليلة فالشام ليس بلاد معادن . وليست الجزيرة اكبر حظاً في هذا الصدد من انحاء الشام السائرة . ففي جبل البشر كما ذكرت يكون الحمر والمغرة ، وفي رأس العين الكبريت ، وفي قرية الصور نحاس غير خالص وفي بعض القرى يوجد ملح البارود فيصنعون البارود من خلطه بالفحم . ويكثر الجبصين في اماكن عديدة ولا سيما بالقرب من قرية ابي هريرة . واجمل ما يشاهده الانسان في بيوت دير الزور رخام غير خالص لكنه بديع الشكل يستخرج من مقالع قريبة من المدينة فتحلى به اقواس الابواب والشبابيك وارض الشرفات . وهذا المنظر يلفت نظر القادم من دمشق حيث يبني معظم السكان بالخشب والطين والآجر لغلاء ثمن الاحجار فيها . ولقد قلت مرة لرئيس

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بلدية الدير اليس من غرائب الدهر ان تبنوا بيوتكم في الدير بالرخام ، ونحن نكاد لانجد في دمشق احقر الاحجار لبناء القصور بها . فاجاب على الفور الحمد لله الذي جعل الناس تحسدنا حتى على الحجر .

بلدانه ومصانعه ومدنه القديمة .— مركز اللواء دير الزور وهي مدينة صغيرة على ضفة الفرات الغربية لايزيد سكانها على ٢٠٠٠٠ نسمة . وفيها جزيرة صغيرة يحيط بها الفرات يصلها بالمدينة جسر صغير . وتبني الحكومة جسراً عظيماً معلقاً على الفرات يصل بلدة الدير بالجزيرة . ويقسم اللواء الى خمسة أقضية وهي الميادين والبوكمال والرقة والحسكة والقامشلية . وأهم القرى الواقعة على الفرات من الجنوب الى الشمال هي البوكمال والعالحية وعشارة والميادين والبصيرة والتبني والسبخة والرقة والحمام وابو هريرة . اما الخابور فأهم قراه من الجنوب الى الشمال البصيرة والصور والفدغمي والشدادي والحسكة وتل الرمان والمجدل ورأس العين . وأهم قرى البليخ خربة الرز وتل السمن والتل الأبيض . وفي قضاء القامشلية عدد كبير من القرى مثل القرمانية وكرو وعمودة والعرادة والتنورية وعشرات غيرها .

ومن البلدان القديمة القريبة من حدود اللواء الحاضرة بالس جنوبي قرية مسكنة وهي اليوم خرابات واسعة كان فيها مسجد لاتزال مئذنته المثمنة الأضلاع قائمة الى يومنا هذا . ويستدل من كتابة عليها انها جددت ايام الملك العادل ابي بكر محمد بن ايوب المدفون بالعادلية في القبة التي هي بجانبنا . والملك المشار اليه عاش بين السنة ٥٤٠ و٦١٥ الهجرية وكانت بالس من بلدان الروم الشهيرة وكانوا يسمونها (Barbalissos) . وقد جلا أصحابها ايام ابي عبيدة وأسكن فيها العرب . وعسكر فيها مسلمة بن عبد الملك في احدى غزواته وحفر نهراً يسقي أرضها وأرض صفين وقرى أخرى وكان يعرف بنهر مسلمة . وقد ورد ذكرها في أماكن عدة من صفحات تاريخ العرب . وصفين الشهيرة في التاريخ كانت بين بالس والرقة على الفرات .

ويشاهد في قرية دبسي على نحو ١٢ كيلومتراً جنوبي مسكنة أنقاض من الآجر الذي كان يستعمله البابليون والأثوريون . ويقال ان الاسكندر الكبير قطع الفرات منها لمحاربة دارا ملك الفرس . وعلى بضعة كيلومترات جنوبي ابي هريرة ترى قلعة جعبر في جهة الجزيرة . ذكر ياقوت أنها قرب صفين وانها كانت تسمى دومر فملكها رجل من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

بني قشير يقال له جعبر بن مالك وكان يخيف ابناء السبيل ويلتجيء اليها ثم استولى عليها السلطان جلال الدين ملكشاه بن أرسلان وأقطعها سالم بن مالك بن بدران بن مقلد العقيلي صاحب قلعة حلب عوضاً عن هذه القلعة . ووليها ولده الى ان أخذها نور الدين محمود بن زنكي ، ثم انتقلت الى بني أيوب . وفيها قبر احد الملوك العثمانيين ولهذا اشترطت الجمهورية التركية في معاهدة لوزان وضع شرذمة من الجنود الترك في قلعة جعبر لحراسة هذا القبر ، وربما كان الأجدر حراسة الأحياء من هذه الأسرة ، لكن هذه القضية لا تهمنا فالترك بها أدرى .

وعلى نحو اربعة كيلومترات شمالي مخفر الحمام تقع العين على أنقاض قلعة قديمة أثورية . ولعل هنالك موضع سُوْراء الذي ذكره الأديبي . والرّقة من أعظم مدن الجزيرة في خلافة الأمويين وخلافة العباسيين خاصةً . وأنقاضها لا تزال بادية للعيان يحيط بها سور محيطه خمسة كيلومترات تقريباً . وفيها بقايا مسجد لا تزال بعض جدرانه العربية البديعة قائمة وفي احدها كتابة تدل على ان المسجد تجدد في أيام الملك العادل ابي القاسم محمود نورالدين زنكي (٥١١ — ٥٦٩ هـ) ومنارة هذا المسجد لم تهدم وهي مبنية على قاعدة من الرخام والاحجار الأخرى المتينة . وقد صعدت الى رأسها فاذا هنالك منظر من أجمل المناظر لخرائب الرقة القديمة ، ولبلدة الرقة اليوم والفرات والبساتين . وذكر بعضهم ان المسجد بني في خلافة عمر بن الخطاب وجدد ايام الملك العادل محمود نورالدين . ويوجد شرقيه بعض جدران من قصر عربي قديم يقال انه كان لهرون الرشيد ويقال انه كان للملك العادل على بعد مابينهما من السنين ولا يوجد كتابة ترشدنا الى الحقيقة . وفي الجناح الجنوبي من سور المدينة باب لها من أجمل مابني على الطراز العربي يسمى باب بغداد . ويستنتج من هذه الآثار التي أبقى الدهر عليها انه كان لمدينة الرقة في تاريخ العرب شأن كبير ولهذا لانستغرب الأبيات التي وصفها بها ربيعة الرقي :

حبذا الرّقة دار أو بلد بلد ساكنه ممن تود
ما رأينا بلدة تعدلها لا ولا أخبرنا عنها احد
انها برية بحرية سورها بحر وسور في الجدد
تسمع الصُلْصل في أشجارها هدهد البر ومكّاء غرد

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لم تضمن بلدة ما ضمنت من جمال في قريش وأسد

وكانت تسمى الرَّقة البيضاء . وجنوبيها بالجانب الغربي من الفرات كانت مدينة ثانية تعرف برقة واسط وكان بها قصران لهشام بن عبد الملك . وعلى البليخ كانت الرقة السوداء وهي بلدة ذات بساتين كثيرة قيل وكان الجميع متصلا .

ومن الخرائب المهمة الرُصافة وتعرف برصافة هشام بن عبد الملك وهي في الجنوب الغربي من الرقة على طرف البرية جنوبي قرية الحمام . كانت من المدن القديمة جداً جدد بناءها هشام وكان يسكنها في الصيف . وقد ورد ذكرها في شعر الفرزدق وجرير وغيرهما . وفيها بقايا دير من أعظم الديرة .

وعند مصب الخابور أي عند قرية البصيرة اليوم كانت مدينة قَرْقيسياء دمرها احد ملوك الآثوريين مع ما يجاورها من كورة الخابور ثم أعادها دارا الاول ملك الفرس الى سابق مجدها وحفر الأنهر على الخابور والفرات وجعل تلك الأصقاع أعظم مستغلات للحبوب في مملكته . وكانت قرقيسياء ايام الرومانيين مدينة فيها ٦٠٠٠٠ نسمة من السكان ولبثت كبيرة الشأن في الخلافات العربية ثم طاحت معها بعد ان هدمت الأسداد ورُدمت الأنهار في غزوات برابرة الشرق من مغول وتتر . ويشاهد منها اليوم بعض عمد من الرخام وحجارة رومانية وقلعة عربية .

وعلى اربعة كيلومترات غربي الميادين تبدو لك قلعة عظيمة هي رحبة مالك بن طوق ولنسبتها الى مالك المذكور قصة طويلة جرت مع هارون الرشيد فأقطعه الرحبة فبنى فيها تلك القلعة . وموقعها من أهم المواقع على طريق بغداد ولهذا كان لها شأن في التاريخ قبل العرب اي في ايام الأثوريين فالفرس فالرومانيين .

وفي العشارة مسجد قديم ينسب الى الامام علي لم يُبق الدهر منه سوى المنارة وبعض الجدران .

ومن أعظم المدن القديمة الصالحية بين الميادين والبوكمال على الفرات ، لا تزال بعض جدرانها الضخمة قائمة مع بقايا من العمد وقواعدها ولم نشاهد فيها غير ذلك . وقد وجد الاثريون في طيات أرضها كثيراً من الأواني الخزفية وغيرها ونقلوا الى دار الآثار بدمشق قطعاً من الجبصين عليها رسوم ملونة كانوا يضعونها على الجدران .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وفي شمال اللواء آثار عظيمة كُشف عنها في جهات رأس العين والتل الابيض وغيرهما وهي حثية أو رومانية . والخلاصة ان الجزيرة من البلاد التي قامت فيها مدنيات عديدة . ولم تبق الأيام على المصانع والديرة والمدن التي قامت في أنحائها لأنها سهل حجارة البناء فيه قليلة فكان السكان يبنون بالآجر غالباً وهي لا تقاوم نُوَبَ الدهر كالحجر .

قبائل اللواء — أهمها قبيلتان وهما عنزة وشمر . فالاولى كثيرة الفروع والمنازل فمنها العمارات أو عنزة العراق ومنازلهم تمتد من كربلا الى جنوبي جبل سنجار ومنها البشر ورئيسهم محجم بن مهيد وهم الفدعان والخرسا والقمصة وفرع من السبعة ومنازلهم جنوبي حلب وفي القسم الغربي من لواء دير الزور، ومنها ايضاً عنزة الجزيرة ومنازلهم في الجهة الغربية الشمالية من الجزيرة بين مسكنة والرقة والتل الأبيض وشمالي الخط الحديدي .

اما قبيلة شمر فرئيسها مشعل باشا الجربا ومنازلها حول الخابور وبين النهرين . ومنها فرقة كبيرة في جبل شمر في الشمال الغربي من نجد .

وقبيلتا عنزة وشمر تقومان على تربية الابل والخيل والضأن وهما من القبائل الرحل التي يندر فيها المشتغلون بالفلاحة . ومن قبائل اللواء التي يكثر فيها الأكارون قبيلة الجبور ومنازلهم على طول الخابور والجغجغ وهم ردعاء أهل زرع وماشية . ويقسمون ثلاثة بطون ورئيسهم مسلط باشا آل ملحم .

ومن القبائل التي يشتغل بعض رجالها في الأرض قبيلة الشرايين وقبيلة البقارة ومنازلهما شمالي الحسكة الى رأس العين على ضفتي الخابور . ومن منازلها جبل عبد العزيز . وبين الدير والرقة على الفرات منازل عشيرة ابي شعبان . ويتبعها بعض عشائر فرعية كأبي عساف والسبخة وولد الجزيرة والشامية . وبين الميادين والبوكمال منازل قبيلة العقيدات ويتبعها عشائر فرعية كأبي خابور والشميطات والشويطية وابي كامل . ومنها ايضاً عشيرة أبي السرايا شمالي النير . وفي الشمال الشرقي من اللواء بعض قبائل كردية تقوم على تربية الضأن واستغلال الأرض وهي الكيكية والمرسينية والشيتية والدقورية والملية وغيرها . وهنالك ايضاً بعض قبائل عربية كطي وحرب .

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

طرقه وصناعاته ومدارسه ــ ليس في هذا اللواء المترامي الأطراف طرق معبدة في يومنا هذا الا بعض كيلومترات بين الدير والرقة وبينها وبين الصور (عرض وادي الفرات) وبعض منافذ قصيرة يشق سلوكها ، عبدتها وزارة الأشغال العامة لكي لا تكون عقبة تحول دون اجتياز السيارات . ورأيت العمال يعملون بجد بالقرب من مسكنة على الطريق التي تمتد اليها من حلب . واكثر الطرق تشعثاً التي على مقربة من الرقة . وقلة الأمطار مع كثرة السهول ونوع التربة لا تجعل ثمة حاجة كبرى الى تعبيد الطرق والسيارة تجتازها بسهولة . ويحول دون تعبيدها طولها الذي لا حد له فان بين دير الزور والبوكال ١٢٥ كيلو متراً (منها ٤٥ كيلو متراً بين الدير والميادين) . وبين الدير والقامشلية على طريق قرية الصور ٢٦٥ كيلو متراً (منها ١٧٥ كيلو متراً بين الدير والحسكة) . ومن الدير الى الرقة ١٣٣ كيلومتراً . ومن الحسكة الى رأس العين ٩٠ كيلومتراً . ومن الرقة الى التل الأبيض ١٠٤ كيلو ترات وهكذا .

واللواء خلو من الصناعات المهمة . وللحكومة في مدينة دير الزور مدرسة تجهيزية ناقصة الصفوف . ولها في مراكز الأقضية الخمس مدارس ابتدائية ناقصة الصفوف ايضاً . اما الحسكة وهي مركز اللواء اليوم ففيها للحكومة مدرستان احداهما للذكور والثانية للاناث . وسمعت تذمراً في دير الزور من نقص المدارس فأجبتهم بأن لادارة أملاك الدولة في حمص وحماة وحلب نحو ٩٠٠ قرية ومزرعة ليس فيها للحكومة سوى خمس مدارس مع ان حصة المعارف وحدها التي يدفعها سكان تلك القرى والمزارع من محاصيلهم تكفي لفتح خمسين مدرسة ولهذا لا أظن ان سكان لواء الدير أتعس حظاً من غيرهم من حيث قلة ماهو مخصص للمعارف في موازنة الدولة بل الجميع سواسية في ذلك . قلت ولو رأيت المتذمرين في هذه الآونة بعد ان ظهر في لبنان عقول ونيات قضت بلغو عدد كبير من المدارس الابتدائية والمستشفيات لأجبتهم بان يحمدوا الله الذي لا يحمد على المكروه سواه .

على انها الأيام قد صرن كلها عجائب حتى ليس فيها عجائب

* * *

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

تجارته وزراعته ٠ — لا يوجد في اللواء منتوجات مهمة يصدرها ٠ وحاجات سكانه قليلة ولهذا فهم لا يشترون من خارجه الا مالا غنى لهم عنه كالنفط (البترول) والمنسوجات والسكر وامثالها ٠ وموقع اللواء بين الشام والعراق وشرقي الاناضول يجعله واسطة لنقل البضاعات بينهـا ٠ واهم تجارة تمر به تجارة الضأن من الأناضول والعراق الى مدن الشام الكبيرة ٠ ويليها تجارة الخشب على الفرات بين الأناضول والعراق ٠ اما ما يرد من العراق الى الشام عن طريق الدير فالعباآت والتمر خاصة ٠

والجزيرة بلاد زراعية لا صناعية ولا تجارية ٠ فقد دلنا التاريخ على ان الاقدمين كانوا يحتفرون الانهار ويحولون اليها مياه الفرات والخابور والجغجغ والبليخ فيسقون بها مساحات واسعة من الارض تعيش من محاصيلها سكان مدن وبلدان كثيرة ٠ ولا تزال آثار بعض هذه المشتقات بادية للعين الى يومنا هذا لاسيما على الخابور حيث يشاهد من مخرجه الى مصبه آثار الأنهر الآتية وهي اولاً نهر تل حلف قريباً من رأس العين وهو يستفاد منه اليوم قليلاً ٠ ثانياً نهر يبدأ بين سفح الجبل ورأس العين ويمتد غرباً نحو البليخ ٠ ثالثاً نهر عُبَيْدانات اوهما نهران يحصلان من سد كان على الخابور بين تل الرمان وتل المجدل ٠ رابعاً نهر سبع سكور وقد زرته برفاقة مشعل باشا الجرباء ٠ وهنالك سد قديم على الخابور جنوبي الحسكة لا يزال قائماً في وجه الماء لكن ارتفاعه اليوم هو دون ما كان سابقاً ولذلك لا يشرب من النهرين اللذين ينشئان عنه الا مساحات صغيرة ٠ خامساً نهر الطف وهو جدولان على خمسة كيلو مترات جنوبي طابان عند تل الذهب وهما مدروسان ٠ سادساً نهر الحمراء شمالي تل الشدادة وهو يمتد الى قرب قرية مرقدة ٠ سابعاً نهر دوارين وهو اهمها مخرجه من الخابور على نحو ٢٠ كيلو متراً شمالي البصيرة ومنتهاه على بعد نحو مائة كيلو متر عند قرية الباعوز على الفرات بالقرب من البوكمال ، ولا تزال آثاره بادية للعيان ٠

هذا بعض ما كان على الخابور ومعظمه اليوم دارس ، اما البليخ والجغجغ فانه يستفاد من مياههما قليلاً لأنه يسهل انشاء سدود عليهما وتحويل مياههما الى انهار اوجداول صغيرة ٠ ويوجد الآن على البليخ ٣٣ جدولاً تقريباً تسقي مساحات لا يستهان بها كما يوجد على الجغجغ عدة جداول ٠ لكن ما يسقى ببعض مياه هـذين النهرين لا يعد شيئاً مذكوراً

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اذا قيس بما يجب ان يسقى بمياه الفرات والخابور . والفلاحون يستعملون واسطتين لرفع المياه من الخابور والفرات وهما اولاً بكرة عليها حبل يشد الى احد طرفيه قربة كبيرة والى الثاني ثور يجر الحبل فيرفع القربة مملوءة ماء . ثانياً الناعورة المعروفة وهي على قسمين التي تدور بقوة جري الماء كنواعير حماة ثم التي تديرها الحيوانات . فالأولى من هذه النواعير لاتشاهد الا على الخابور لأن قوة جري الماء فيه لاتحول دون استعمالها . اما نواعير القسم الثاني فيوجد منها قليل في بعض جزر الفرات . ولا يزيد عدد نواعير الخابور على ١٥٠ ناعورة تسقي واحدتها ١٠٠ — ٢٠٠ دونم . اما الدلو على البكرة فيسقي نحو ٤٠ دونماً ولم اشاهد محركاً واحداً لرفع الماء من الفرات أو الخابور او غيرهما من الانهار في الجزيرة واذا كان ثمة محركات لم ارها فهي بلا شك لا تتجاوز عدد الاصابع .

والخلاصة ان تراب الجزيرة وهواءها ووفرة المياه فيها جعلتها صالحة لزرع جميع الزروع والأشجار المثمرة التي تعرفونها ولاسيما القطن والكتان والسمسم وقصب السكر والشوندر السكري والتبغ وانواع الحبوب وانواع الحوامض والزيتون وغيرها . ولا يستغل اليوم من ارضها الواسعة عشر مايمكن استغلاله منها . ومن المستطاع اعادة بعض السدود وكري جداولها القديمة على الخابور واسقاء الوف من الدونمات بمبالغ لا يعسر على ابناء البلاد الشامية تدارکها ، كما انه من المستطاع فتح جداول جديدة على البليخ والجغجغ ووضع محركات على الفرات وغير ذلك من الأعمال . ولا يظن ان اعمال الري هذه تستلزم كلها بذل نفقات عظيمة قد لاتقوم بها الا رؤوس المال الأجنبية ، فان في طاقة ابناء البلاد القيام بكثير منها ، اذا اتحدوا واسسوا شركات صغيرة او كبيرة . ثم ان هواء الجزيرة صحي وليست الحرارة فيها اشد منها في العراق او في مصر . واهلها عرب مثلنا وهم غير اذكياء ذوو نجدة يتمنون الاشتراك في اعمال كهذه مع ابناء الشام ويسرون بلقائهم ، بدلاً من اصحاب الأوجه الكالحة الذين يدلفون اليهم من الشمال ، وهم يرطنون بلغات لاتفهم ويأتون اعمالاً صغيرة يزاحمون بها الفقير على قوته .

هذه خلاصة مادونته في تلك الرحلة . ولقد ودعت الجزيرة بالابيات الآتية نظمتها في السيارة بين الرقة وحلب :

إطرِ الجزيرةَ سكنها والدورا الشاربين من الفرات نميرا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

واستودع الله البليخ وأهله فالمدّ فالرمّاسَ فالخابورا
كور بها للعرب اكبر دوحة رسخت على وجه الزمان عصورا
ان أقفرت جنباتها فرحابها كانت تضيق حدائقاً وقصورا
أو أطفئت أنوارُها فلطالما سطعت تضيءُ الحالك الديجورا
ايام كان العرب في إبانهم سُدُماً تشعُّ كواكباً وبدورا

* * *

يا وقفة عند المغيب بحسكة والشمس تقذف تبرها المنثورا
والماء في الخابور يشكو علة والريح تسطر في المياه سطورا
أذكرتني اسداً هنالك قلمت اظفارها وتشاءماً وصقورا
وبعثتِ في النفس الأسى فتخيلت «فوزي[1]» يحدث جاثماً مسرورا
متهللاً في نفسه متيقناً من فوزه متفائلاً محبورا
لله ساعات مررن حوالكاً أضرمنَ في يبس الفؤاد سعيرا

* * *

كَرُمت منابتها ديار ربيعة وزكت على كر الزمان دهورا

مصطفى الشهابي

---

(١) هو الفقيد فوزي بك الغزي احد الزعماء الوطنيين الذين كانوا نفوا الى الحسكة وكان من أعز أصدقائي .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

لباب الاستعارات والكنايات

والملاحن والالغاز

— التي وردت في كلام العرب —

—((●))—

اما ماجاء في قول العرب من الاستعارات فكثير منه قولهم : هذا رأس الامر ووجهه ورأس المال . وهذا الامر في جنب غيره يسير . وهؤلاء رؤوس القوم وجماجمهم وعيونهم ووجوههم . وفلان ظهر فلان ولسان قومه ونابهم وعضدهم . وهذا كلام له ظهر وبطن . وخرج علينا عنق من الناس . وله عندي يد بيضاء . وهذه عين الماء . وحاجب الشمس . ولسان النار . وانف الجبل . وبطن الوادي . وكبد السماء . وساق الشجرة .

ويقولون في التفرقة : انشقت عصاهم وشالت نعامتهم ومروا بين سمع الارض وبصرها .

ويقولون في اشتداد الامر : كشفت الحرب عن ساقها . ابدى الشر ناجذيه . حمي الوطيس . دارت رحى الحرب .

ويقولون في ذكر الآثار العلوية : افترّ الصبح عن نواجذه . نعر الصبح في قفا الليل . وهي نطاق الجوزاء . انحط قنديل الثريا . ذرّ قرن الشمس . بَقَل وجه النهار . نوّرت حدائق الجو . شاب رأس الليل . ويقولون : قام خطيب الرعد . خفق قلب البرق . انحلّ عقد السحاب . انحلّ شريان الغمام . تنفس الربيع . آن ان يجيش مرجل الصيف ويثور قسطله . دبّت عقارب البرد . شابت مفارق الجبال .

ويقولون في محاسن الكلام : الأدب غذاء الروح . ويقولون : النارفاكهة الشتاء . النبيذ كيمياء الفرح . الوحدة قبر الحي . الدّين داء الكرام . التّمام جسر الشر . الشكر نسيم النعيم . الربيع شباب الزمان . الولد ريحانة الروح . الشمس قطيفة المساكين .

ويقولون للمطر سماء . قال الشاعر :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اذا نزل السماء بارض قوم رعيناها وان كانوا غضابا

ويقولون : لقيت من فلان عرق القربة (وأصل هذا ان حامل القربة يتعب من ثقلها حتى يتصبب عرقاً) . ولقيت منه عرق الجبين . والعرب تقول : بارض فلان شجر صائح : وذلك اذا طال فتبين للناظر بطوله ودل على نفسه لان الصائح يدل على نفسه بصوته . ومما جاء ايضاً في هذا الباب في القرآن وكلام الصحابة وغيرهم مانصه : أذاقها الله لباس الجوع والخوف . اشتعل الرأس شيباً . وصبّ عليهم ربك سوط عذاب . قال علي : اما وقد اتسع نطاق الاسلام . وقال الحجاج : دلوني على رجل سمين الامانة أعجف الخيانة (والأعجف النحيل) . وقال عبدالله بن وهب : لاخير في الرأي الفطير والكلام القضيب (القضيب بمعنى المقضوب اي المقطوع والظاهر ان المراد هو الكلام المقطوع عما قبله أو عما بعده مما يحتاج اليه السامع ليفهم تماماً المقصود منه) .

ولما بايعوا علياً قال : دعوا الأمر يغبّ . فان غبوبه يكشف لكم عن محله (ومعنى يغب يبيت) . وقال اكثم بن صيفي : الحلم دعامة العقل . وقال خالد بن صفوان لرجل : رحم الله أباك فانه كان يقري العين جمالاً والاذن بياناً . وقيل لرؤبة كيف تركت ماوراءك . قال : التراب يابس والمال عابس . وقال المنصور لبعضهم : بلغني انك بخيل قال : ما أجمد في حق ولا أذوب في باطل . وقال ابراهيم الموصلي : قلت للعباس بن الحسين : اني لأحبك . قال : رائد ذلك عندي . وقال اعرابي : خرجت في ليلة حندس قدالقت على الارض أدراعها فمحت صورة الأبدان فما كنا نتعارف الا بالآذان . وقال أعرابي لآخر : يسار النفس خير من يسار المال ورب شبعان من النعم غرثان من الكرم (غرثان معناه جائع) . وقال آخر في حرب : جعلوا الحرب أرشية الموت واستقوا بها أرواح العدو (ارشية اي حبال مفرده رشاء) . وقال احمد بن يوسف وقد شتمه رجل بين يدي المأمون : رأيته يستملي ما يلقاني به من عينيك . ومدح رجل أعرابياً قال : كان يفتح من الرأي أبواباً منسدة ويغسل من العار وجوهاً مسودة وان للصنائع لغارةً على أمواله كغارة سيوفه على أعدائه (الصنائع أعمال المعروف ومفردها صنيعة) .

ومدح أعرابي آخر رجلاً فقال : انه ليعطي عطاء من يعلم ان الله مادته . وسأل أعرابي (أي سأل صدقةً) فقيل له عليك بالصيارف . فقال : هناك قرارة اللؤم . وذمّ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

أعرابيٌّ قوماً فقال : يصومون عن المعروف ويفطرون على الفحشاء . وقال بعضهم : مازال فلان يتحمل مرارة الاخوان ويسيغهم العذب . وقيل لاعرابيّ : لمَ لاتشرب النبيذ . فقال : لا أشرب ما يشرب عقلي . وقال بعض الاطباء : الماء مطية الطعام .

* * *

واما الكنايات فالعرب يلجأون اليها في عدة اغراض منها ارادة التعريض عما يستقبح ذكره . فيكنون عن الاعور بالممتّع وعن الذي في عينيه نكتة بياض بالمكوكب . وعمن في وجهه اثر ضربة بالمشطب . ولبعضهم في ابرص :

اخو لخم اعارك منه ثوباً هنيئاً بالقميص المستجدّ

اراد باخي لخم الملك جذيمة الابرص اللخمي . وللصاحب بن عبّاد في الجرب :

ابا العلاء هلال الهزل والجد كيف النجوم التي يطلعن في الجلد

ويكنى عن الحوَل بالتأخر . وقال الدؤلي كانياً عن الفقر :

بيض المطابخ لاتشكو إملاقهم طبخ القدور ولا غسل المناديل

ومثله قول الآخر :

ثياب طبّاخهم اذا اتسخت انقى بياضاً من القراطيس

وقول ابي بكر الخوارزمي :

فتى مختصر المأكو ل والمشروب والعطر

نقي الكأس والقصـ ـعة والمنديل والقدر

ويكنون عن الجاهل بانه من المستريحين . ويروى ان خلافاً وقع بين بعض الخلفاء وبين نديم له في مسألة فاتفقا على رأي بعض أهل العلم فأحضر . فوجد الخليفة مخطئاً فقال : القائلون برأي امير المؤمنين اكثر (يريد الجهال) . واذا كان الرجل أحمق قيل : نعته لا ينصرف . (لأن لفظ أحمق ممنوع من الصرف بالوصفية ووزن الفعل) . وكان قابوس بن وشمكير اذا وصف رجلاً بالبله قال : (هو من أهل الجنة) . ويقولون : فلان خفيف على القلب (يريدون مقلوب صفة الخفيف وهو الثقيل) .

وكان الشاعر العربي الاطروش اذا خاطبه احدهم ولم يسمع قال له : ارفع صوتك فان باذني بعض مافي روحك (يريد ان باذنه بعض الثقل الذي في روح مخاطبه) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ونظر الهمذاني الى رجل طويل بارد فقال : اقبل ليل الشتاء . ودخل رجل على مريض يعوده وقد اقشعر فقال : ماتجد فديتك . قال : اجدك (يعني البرد) . ويقولون في الكذاب : فلان يلطم عين ميزان (ميزان رجل اشتهر بالكذب) . واذا كان الرجل ملولاً قيل : « هو من بقية قوم موسى » . واذا كان ملحداً قيل : قد عبر (اي عبر جسر الايمان) . وان كان سيء الادب في المؤاكلة قيل : تسافر يداه على الخوان ويرعى ارض الجيران . فان كان خفيف اليد في الطر والسرقة قيل : هو احذ يد القميص (اي مقطوعها والسارق يقطع يد قميصه ليكون اقدر على مايريد سرقته) . فاذا كان قليل الثوب قيل : فلان يعرض الصيد . قال الصاحب :

وجوشه ترتع في جنبه وظفره يركب للصيد

واذا كان الرجل يتشاعر وليس يجيد قالوا : هو نبي في الشعر . اشارة الى قول القرآن في النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) : « وما علمناه الشعر وماينبغي له » . ويقال فلان رابع الشعراء . اذا كان متخلفاً منحط الطبقة لقول الشاعر :

الشعراء في الزمان اربعه فواحد يجري ولا يجرى معه
وواحد يخوض وسط المعمعه وواحد لاتشتهي ان تسمعه
وواحد لاتستحي ان تصفعه

وسئل حائك عن صناعته فقال : كسوة الاحياء وجهاز الموتى . ويكنون عن القروي باخضر الاسنان من كثرة اكل البقول . ويقال في من يكثر الاسفار : فلان لا يضع العصا عن عاتقه .

وجاء في القرآن : « أيحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتاً » . فانه كنى عن الغيبة لأن المغتاب يقع في العرض يمزقه كما يمزق الآكل اللحم . ويقولون : لبس لفلان جلد النمر وجلد الارقم (الافعى) كناية عن العداوة .

ومن ظريف الكنايات ماجاء عن الجماز وقد قيل له : اي البقول احب اليك ؟ فقال بقلة الذئب . (يعني اللحم فان الذئب لا يأكل بقلاً) . ورأى رجل من اضافوه يطيلون الغناء ولا يأتون بطعام فقال :

خليليَّ داويتما ظاهراً فمن ذا يداوي جوى باطنا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فعلموا انه جائع . وروي عن الجاحظ انه أكل مع محمد بن عبدالملك الزيات فالوذجاً فأمر ابن الزيات ان يجعل بين يدي الجاحظ مارقٌ من الجام فأسرع في الأكل حتى نظف ما بين يديه . فقال له محمد : ياأبا عثمان مرعان ماتقشعت سماؤك . فقال : أصلحك الله لأن غيمها كان رقيقاً . ويقولون : ركب فلان الأغر الأشقر . أي قتل . ويريدون بالأغر الأشقر الدم . ويقولون : فلان عف الثوب أو عف الازار . أي مستقيم منزه عن العيب . وفلان غمر الرداء . أي كثير المعروف . وعرضت لفلان فترة اي وخطه الشيب . ومثله أقرّ ليله . ونوّر غصن شبابه . وفضّض الزمان ابنوسه .

ويقال للدعي في بني هاشم : هو ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم من الدُّلدُل . والدلدل بغلة أهداها المقوقس صاحب الاسكندرية الى الرسول وهي اول بغلة رؤيت في الاسلام .

ومن الكناية عن الموت قولهم : لحق باللطيف الخبير . لعق اصبعه . استوفى أكُلَه . استوفى أجله . صُكَّ به على ابي يحيى . وابو يحيى كنية ملك الموت . ويكنون عنه بهادم اللذات . ويقال : شالت نعامته . طارت به عنقاء مُغرب . ويقولون في الدعاء بالموت : لا عُدَّ فلان من نفره . أي فُقد من بينهم بالموت .

ومن حكاياتهم في التورية تخلصاً من الكذب ما روي ان رجلاً من الخوارج ألزم رجلاً من الشيعة ان يبرأ من علي وعثمان فقال : انا من علي ومن عثمان بريء . أراد انه من علي أي من شيعة علي وأنصاره وانه بريء من عثمان . ومثله ما روي عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) انه قال : ان الله قتل عثمان وانا معه . وأراد : وسيقتلني معه . قاصداً بذلك تسكين الفتنة .

وروي انه أقبل محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم مردفاً ابا بكر رضي الله عنه فيلقى الرجل ابابكر وهو يعرفه فيقول له : ياأبابكر من هذا الذي بين يديك . فيقول : رسول يهديني[1] السبيل . فيحسب السائل انه يهديه الطريق . وانما أراد ابو بكر سبيل الخير .

ومرض زياد بن أبيه فدخل عليه شريح القاضي فلما خرج سئل : كيف تركت الامير؟ فقال : تركته يأمر وينهى . فقال السائل ان شريحاً صاحب عويص (عويص الكلام اي الصعب الغامض منه) فاسألوه ماأراد فقال : تركته يأمر بالوصية وينهى عن البكاء .

(١) [المجمع] وكان ذلك اثناء هجرتهما خفية من مكة الى المدينة المنورة .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأتت دلالة قوماً تخطب اليهم فتاةٌ لهم فقالوا لها : ماصناعة الخاطب فقالت : يكتب بقلم من حديد ويختم بالزجاج . فعلموا انه حجام . وسئل الشعبي عن رجل فقال : انه لنافذ الطعنة ركين العقدة . فاذا هو خياط .

ومن كناياتهم : ابومالك . عن الجوع (لانه يملك صاحبه) ورمح ابي سعيد اي العصا . وابو جعدة الذئب وكذلك ابو مزنة . وابو الحارث الاسد . وابو الحصين الثعلب . وابو أيوب الجمل . وأم عامر الضبع . وأم عوف الجرادة . وأم حبوكرى وأم طبق الداهية . وأم النجوم الثريا . وأم الخل الخمر . وأم الخمر العنب . وبنت العنقود وبنت الحان وبنت الدنان وبنت الدوالي الخمر . وأم مرزم ريح الشمال . وعاصم بن حبة الخبز . وكذلك جابر بن حبة وابو جابر . وتحفة ابراهيم اللحم . ويقال ان مسلم بن قتيبة قال للشعبي ماتشتهي ؟ فقال أعز مفقود وأهون موجود . قال ياغلام اسقه ماء . ويكنون بابي مصلح عن الملح وابي ثقيف عن الخل وابي اليقظان عن الديك .

ويقولون فلان من قوم موسى اذا كان ملولاً . وفلان بيضة البلد كناية عن عزه وعن ذله . وفلان ليس له على الله حجة . اي متكامل فضله . وعاري الخوان اي بخيل . وكذلك يخنق كلبه (لكيلا ينبح فيدل الضيف على المنزل) . ويكنون عن الدرهم بالأخرس النجيح . وعن القلم بالناطق الأبكم .

ويقولون فلان له قرابات في اليمن . اي قبيح الصورة مثل القرود . (والقرود كثيرة في اليمن) . ويكنون عن الأعمى بالمحجوب . وعن خلو البيت من الطعام بقلة الجرذان . ويقولون فلان من تربية القاضي . اي لقيط لا يعرف له أب . وقيل للاستاذ الطبري : شعر فلان كالماء . فقال نعم ولكن كماء البئر في الصيف (اي انه بارد) .

ويقال فلان قد لبس شعار الصالحين . أي اتتفر . وجاءنا في قميص آكل الدهر عليه وشرب . كناية عن القدم والبلى . ومثل ذلك جاءنا في جبة تقرأ : (واذا السماء انشقت) ويقال فلان جاءه النذير . اي شاب . وكذلك : لاح الافحوان في بنفسجه .

واما الملاحن والألغاز فقد كانت العرب تتعمدها اذا ارادت التعمية او التورية . والملاحن مأخوذة من اللحن وهو الفطنة . واصله ان تريد شيئاً فتوري عنه بشيء آخر . ومن هذا القبيل مارواه العنبري قال :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كان اسير في بكر بن وائل فسألهم رسولاً الى قومه فقالوا له لا ترسل الا بحضرتنا لانهم كانوا قدازمعوا غزوقومه فخافوا ان ينذرهم . فجيء بعبد اسود فقال : ابلغ قومي التحية وقل لهم ليكرموا فلاناً (يعني اسيراً كان في ايديهم من بكر) فان قومه لي مكرمون وقل لهم ان العرفج قد ادبى وقد شكت النساء ومرهم ان يعروا ناقتي الحمراء فقد أطالوا ركوبها وان يركبوا جملي الاصهب بآية ما اكلت معكم حيساً واسألوا الحارث عن خبري فلما ادى العبد الرسالة قالوا لقد جُنَّ الاعور والله مانعرف له ناقة حمراء ولاجملاً اصهب . ثم سرّحوا العبد ودعوا الحارث فقصوا عليه القصة فقال : لقد انذركم . اما قوله : « ادبى العرفج » فيريد ان الرجال قد استلأموا اي ادّرعوا ولبسوا السلاح . وقوله : « شكت النساء » اي اتخذت الشكا وهي اسقية الماء للسفر . وقوله (عروا ناقتي الحمراء) اي ارتحلوا عن الدهناء) . « واركبوا الجمل الاصهب » اي اقصدوا الجبل . وقوله : « اكلت معكم حيساً » اي ان اخلاطاً من الناس يغزونكم لان الحيس يصنع من التمر والسمن والأقط . فامتثلوا ما قال وعرفوا لحن كلامه وانتفعوا به . ومن امثلة التورية ماذكره ابن دريد قال : تقول «والله ماسألت فلاناً في حاجة قط » والحاجة ضرب من الشجر له شوك . « وما رأيته » اي وما ضربت رئته . « ولا كلمته » اي جرحته . « ولا اعلمته اي ماشققت شفته العليا . فمن كان مشقوقها فهو اعلم فاذا كان مشقوق الشفة السفلى فهو افلح . « ولا اخذت منه كلياً » وهو المسمار في قائم السيف « ولا فهداً » وهو المسمار في وسط الرحل . « ولا جارية » وهي السفينة . « ولا شعيرة » وهي رأس المسمار من الفضة . « ولا صقراً » وهو دبس الرطب اي التمر الناضج . « ولا كسرت له سناً » وهي القطعة من العشب تتفرق في الارض . « ولا ضرساً » وهي القطعة من المطر تقع متفرقة في الارض . « ولا خربت له رحى » وهو من الاضراس . « ولا لبست له جبة » اي جبة السنان وهو الموضع الذي يدخل فيه سن الرمح . « وماظلمت فلاناً » اي ماسقيته ظليماً وهو اللبن قبل ان يروب . « ولا اخبرته » اي مارعيت له خبيرة وهي شاة يشتريها القوم ويقتسمونها بينهم . « ولا جلست له على حصير » وهي اللحمة المعترضة في جنب الفرس . « ولا رأيت سعداً » وهو النجم . « ولا سعيداً » وهو النهر يسقي الارض منفرداً . « ولا جعفراً » وهو النهر الكبير (ولا سهلاً) وهو ضد الوعر « ولا سُهيلاً » وهو اسم نجم . « وما

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وطئت لفلان ارضاً » وهو باطن حافر الفرس . « ولا اخذت له بيضة » وهي بيضة الحديد يضعها المقاتل على رأسه من أسلحة الدفاع « ولا عسلاً » وهو نوع من عَدْوِ الذئب اي جريه . « ولا خلاً » وهو الطريق في الرمل . (وما عرفت لكم طريقاً) وهو النخل الذي ينال باليد . (ولا أتلفتُ لفلان تمرة) وهي طرف السوط . (ولا كسرت ساقة) وهو الذكر من الحمام . (ولا أخذت لفلان فروة) وهي جلدة الرأس . (ولا عرفت له وجهاً) اي قصداً . (وما عرفت لفلانة بعلاً) وهو النخل لا يسقيه أصحابه بل يشرب ماء السماء . (وما لي جمل) وهو من سمك البحر .

ومن الأبيات التي يتحاجون بها ويسمونها أبيات المعاني قولهم :

وزهراء إن كفنتها فهو عيشها وان لم اكفنها فموت معجّلُ

يعني النار وهي زهراء أي بيضاء . يقول ان قدحتها فخرجت فلم أدركها بخرقة أو غير ذلك ماتت . وقولهم :

وما ذكر فان يكبر فأنثى شديد الأزم ليس له ضروسُ

هو القراد لانه اذا كان صغيراً فهو القرد فاذا كبر سمي حلمة . وقولهم :

عافت الماء في الشتاء فقلنا بردّيه تصادفيه سخينا

قوله (بردّيه) اي (بل رديه) ادغم اللام والراء ادغام المتقاربين فصار كلمة واحدة . وقولهم :

اقول لعبد الله لما سقاؤنا ونحن بوادي عبدشمس وهاشم

الاصل في قوله : (وهاشم) هكذا (وهي شم) . ومعنى وهي سقط . وشِمْ أنظر . وتحرير المعنى : اقول لعبد الله لما سقاؤنا وهي اي سقط ونحن بوادي عبد شمس شِمْ أي انظرْ .

وقولهم :

واشعثَ كفّارٍ غدا وهو مومنٌ وراح ولم يؤمن برب محمد

قوله مومن اي قاصد اليمن والفعل منه أيمن . فلم يبق في البيت إشكال أو غرابة بنسبة الايمان والكفر الى رجل واحد بين صباح ومساء اي عند غدوه وعند رواحه .

اللاذقية : ادوار صرقص

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جامع التواريخ

— أو —

« نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة »

— ٧ —

حدثني ابو الحسن علي بن احمد الحاجب المعروف بابن الخراساني وكان يحجب لمعز الدولة قال كنت مع معز الدولة يوماً في دار الخلافة بحضرة المطيع لله فلما انقضى الموكب قال لي قل له اني أريد ان أطوف في الدار فأراها وأشاهد بساتينها وصحونها فيأمر من يطيفني فيها قال فقلت ذلك للخليفة بالعربية فأمر الخليفة شاهك خادمه وابن عمر(١) حاجبه ان يطيفاه فيها فلما مشيا بين يديه وانا وراءهما أمشي وبعدنا عن حضرة الخليفة وقفا فقالا أيها الامير انه لا يصلح ان تطوف الدار الا ومعك نفسان أو ثلاثة أو نحو هذا فاختر لنفسك من تريد وردّ أصحابك قال فأخذ الصيمري كاتبه معه ونحو عشرة غلمان من حجابه وغلمانه وترك باقي غلمانه وجيشه في صحن السلام فتوقفت أشدّ منطقتي فسبقني ودخل مع شاهك وابن ابي عمر ولم ينتظروني وأسرع في مشيه فشددت منطقتي ولحقته وجذبت ثيابه من ورائه فالتفت فقلت

---

(١) لعله : ابن ابي عمر .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بالفارسية في أي موضع انت مالك تعدو على وجهك وليس تعلم انك في دارٍ قد قتلتْ الفَ اميرٍ والف وزير . أيش كان غرضك في طوف هذه الدار وحدك ما كان يؤمنك لو وقف لنا عشرة من الخدم او عشرون نفساً في هذا الممر الضيق فتقتل . قال فكنت أكلمه بالفارسية وأصحاب الخليفة لايفهمون فقال له الصيمري بالفارسية قد صدقك فقال لنا ان انا رجعت الساعة علموا اني قد فزعت فضعفتْ هيبتي في نفوسهم ونظروا اليّ بعين جبان (١) ولكن التفّوا حولي فان مائة من هؤلاء لايقاومونا ولا صاحبهم يجسر ايضاً على الحيلة عليّ وتسرع في مشيه حتى اننا لم نثبت ماشاهدناه حق تثبيته حتى انتهينا الى دار فيها صنم من صفر على صورة امرأة وبين يديها أصنام صغار على صور الوصائف فما رأينا شيئاً قط أحسن من ذلك وخاصة المرأة قال فتحير معز الدولة وسأل عن ذلك وقالوا هذا صنم يقال له (شغل) حُمل الى المقتدر من بلد من بلدان الهند وكان يعبده اهل ذلك البلد ففتحه صاحب عمان وملكه وحمل الصنم فقال معز الدولة قد والله عشقت هذا الصنم لحسنه ولو كانت جارية مع زهدي في الجواري لاشتريتها بمائة الف دينار . قال: أريد أطلبه من الخليفة يكون قريباً مني فأراه في كل وقت فقال له الصيمري لاتفعل فانك تنسب في ذلك الى أخلاق الصبيان قال وأسرعنا الطوف والخروج فما عقلنا ولا رجعت نفوسنا الينا حتى صار مع عسكره وغلمانه

(١) الكلمة غير واضحة . [المجمع] بل المعنى انهم ينظرون اليه بالعين التي ينظرون بها الى الجبان أي يعدّونه جباناً .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

فلما نزل الى طيّـــاره التفت الى الصيمري وقال يابا جعفر قد زادت محبتي للخليفة لانه لو كان يضمرلي سوءًا و كان فيه شر لكان قد قتلني اليوم باسهل حيلة فقال له الصيمري الأمر كذلك فاحمد الله قال فلما رجع الى داره أمر ان يحمل الى الطالبيين عشرة آلاف درهم ليفرقها فيهم شكراً لله عزّ وجلّ على سلامته ففرقت ولم يعرفوا سبب ذلك ٠

* ٠ *

حدثني ابو محمد عبد الله بن داسة قال حدثنا ابو الحسين احمد بن الحسن ابن المثنى قال حدثنا ابي قال كان في بني منقر بالبصرة طبيب يختلف الى عيسى بن أبان القاضي ايام مقامه بالبصرة لسقيه في كل سنة دهن الخروع أياماً متواليـــة من كل سنة فاذا فرغ وقع الى وكيله بمائتي درهم قال فغلط سنة من السنين فوقع له بمائتي دينار فلما عرض الطبيب الرقعة على الوكيل استراب بها وقال حتى استأذنه وجاء اليه فأراه التوقيع فقال ما أردت هذا ما أردت الا المائتي درهم التي هي رسمه ولكن هذا شيءٌ أجراه الله على يدي لا أرجع عنه اعطه اياه فأعطاه ٠

* * *

وحدثني ابو محمد قال حدثني ابو سهل بن زياد العطار قال كان علي بن عيسى يدخل في كل اسبوع يوماً الى زوجته والدة ابي القاسم ابنه و كان ابو القاسم قد نشأ وترجل فلما كان يوم النوبة أدخل ابو القاسم أمه الى حجرة وقفلها عليها وأخذ المفتاح فوافى علي بن عيسى فانكر فعلها فقال له الجواري

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ان ابا القاسم ابنه فعل ذلك فاستحيا وعرف غرضه فلم يدخل الى أُمه بعد ذلك الا لعيادة أو حال ظاهرة ٠

***

وحدثني قال حدثني ابو الفرج منصور بن القاسم القنائي الكاتب قال دخل ابو عمر القاضي على ابي علي بن مقلة وهو وزير وعلي بن عيسى عنده جالس فرفع ابا عمر عليه فامتنع فرفعه ثانية وامتنع وجلس دون ابي الحسن فانصرف فراسله الى طياره واستدعى ابنه ابا الحسين فجاءَ اليه فقال تقول لابي عمر اني ما رفعتك على علي بن عيسى فتخالف أمري وتمتنع من ذلك وتجلس دونه فعاد اليه ابو الحسين فقال له ما جرى فقال له ارجع اليه وقل له هذا رجل رَأَسَ عليَّ ثم أزال الزمان منه فكرهت ان ارتفع عليه فيتصورني الوزير بصورة من يرتفع على رؤسائه وما فعلت ذلك الا لك واعظاماً للرياسات فعاد ابو الحسين الى ابن مقلة وأعاد ذلك عليه فقال قل له أحسن الله جزاءك فمنك يتعلم العقل ٠

***

حدثني ابو محمد قال حدثنا ابو الحسين محمد بن عبيد الله بن نصرويه عن شيوخه ان المعتضد لما قبض على اسماعيل بن اسحاق القاضي وقال له بلغني انك تعلم ان اسماعيل بن بلبل زنديق فما تقول في قتله فقال ما أقول في رجل تكنَّى وسُمِّيَ ابوه بالطيور فعلم المعتضد انه يدافع فقال ليوسف القاضي هل عندك من امره شيءٌ فقال نعم أمرني الموفق بالنفقة على الموسم وتقدم الى اسماعيل ان

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

يعطيني المال فكنت الزم مجلسه أُطالبه بذلك فلزمته يوماً منذ الغداة الى المغرب مارأيته صلى ولا نهض من موضعه ثم لزمته اياماً متتابعة و كانت هذه حكمه فقلت لعله يقضيها ليلاً فقال لي في آخر يوم بت عندي الليلة لاعطيك المال وجلس يتحدث وانا بين يديه الى ان نعس فأراد اكرامي فأمرني بالنوم بحضرته فنمت وما رأيته في خلال ذلك صلى . فقال له المعتضد انصرف فقد أخبرتني بما أردت منك وقتله .

* * *

حدثنا ابو محمد قال حدثنا ابو الحسن بن ابي نصر ان ابن ابي الوليد بن ابي عبد الله بن ابي داود قال حدثني ابي ان عمرو بن الليث كان له بيت ينام فيه ويحرسه غلمان له ليلاً فانتبه ليلةً فوجد بعض الغلمان قد استند الى الحائط ونام قائماً فجعل مرفقه على صماخه وغمز عليه حتى قتله فما رأى في داره نائماً ممن كان يحرسه بعد ذلك .

* * *

حدثنا ابو محمد قال حدثني ابو الحسين احمد بن الحسن بن المثنى قال حدثني ابي قال حدثني عمي قال قال ابن عياش كنت آكل مع حميد الطوسي فضربت يدي الى دجاجة مشوية ثم رغبت عنها شبعاً فلم اكسرها وانقضى الطعام وغسلت يدي وخرجت فاذا بضوء ضاء في الدهليز واذا برجل يبكي فقام اليَّ وقال يارجل أحيي نفساً كنت انت سبب قتلها فقلت ماالخبر فقال أنا طباخ حميد وانك مسست دجاجة ثم لم تكسرها فقدّر حميد انني شويتها

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولم أنضجها فأمر بقتلي فعدت الى حميد فحين رآني قال والله لاشفعتك في الطباخ قلت يسمع الامير ما أقوله ويعمل ما يراه قال قل فحلفت بالايمان المغلظة ان الدجاجة كانت نضيجة وانما رغبت عنها ان الشبع صدني ثم اتبعت المسألة في امر الطباخ فقال أهب لك ذنبه على انه لا تدخل داري اننا قد أيسنا من الآخرة وانما هي هذه الدنيا فلا نحتمل والله لأحد تنغيصها علينا .

* * *

وحدثني (١) قال حدثني ابو يحيى بن مكرم القاضي البغدادي قال حدثني ابي قال كان في جواري شيخ يعرف بابي عبيدة حسن الأدب كثير الرواية للأخبار وكان ينادم اسحق بن ابراهيم المصعبي فحدثني ان اسحاق استدعاه ذات ليلة في نصف الليل بعدة رسل قال فهالني ذلك وأوحشني لما أعرفه من زعارة أخلاقه وشدة اسراعه الى القتل وخفت ان يكون قد نقم عليّ شيئاً (٢) في العشرة او بلغه عني باطل فاحفظه فيقتلني فخرجت طائر العقل حتى أتيت داره فأدخلت من دار الى أخرى الى ان أدخلت دار الحرم فاشتد جزعي ثم أدخلت الى حجرة لطيفة فسمعت في دهليزها بكاء امرأة متخافياً (٣) وهو جالس على كرسي وبين يديه سيف مسلول فذهب عليّ أمري وسلمت ووقفت فقال اجلس يا باعبيدة فسكن روعي وجلست فرمى اليّ قصصاً فاذا هي رقاع أصحاب الشرط في الارباع يخبر كل واحد منهم بخبر يومه وفي اكثرها

---

(١) الفرج بعد الشدة ٢ : ٦١ (٢) يريد شيئاً . (٣) لعله : متخافتاً . وفي الفرج : ونحيبها ودخلت .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

أخبار كبسات وقعت بنساء من بنات الوزراء والرؤساء من الكتاب وبنات القوّاد والامراء مع رجل على رتب (١) وانهن محضلات في الحبوس ويستأذن في امرهن فقلت قد وقفت على هذه الرقاع فما يأمرني الامير فقال ان هؤلاء كلهن أجلُّ آباءً مني واكثر حسباً (٢) ومالاً وقد أفضى بهن الدهر الى ماقد رأيت وقد وقع لي ان بناتي سيبلغن الى هذا وقد جمعتهن وهن خمس بالقرب من هذا الموقع لاقتلهن كلهن الساعة واستريح فماذا ترى في هذا · فقلت أيها الامير ان آباء هؤلاء المحبسات اخطأوا في تدبيرهن لانهم خلفوا عليهن النعم ولم يحفظوهن (٣) بالأزواج فخلون بانفسهن ففسدن ولو كانوا علقوهن على الاكفاء (٤) ماجرى هذا منهن والذي أراه ان تستدعي فلاناً القائد فله خمسة بنين كلهم جميل الوجه حسن النشوة (٥) فتزوج كل واحدة منهن بواحد فتُكفى العار والنار فقال أحسنت يابا عبيدة أنفذوا الساعة اليه وافرغ لي من هذا قال فراسلت الرجل فما طلع الفجر حتى حضر وأولاده وعقدت النكاح لهم على بنات اسحاق في خطبة واحدة وحمل اسحاق بين يدي كل واحدة خمسة آلاف دينار عيناً وشيئاً كثيراً من الطيب والثياب والدوابّ والبغال والغلمان فأعطاني كلّ واحد من الأزواج شيئاً مما وصل اليه وأنفذ لي أمهات الاولاد هدايا في الحال وشكرنني على تخليص بناتهن وانقلبت الحال الى السرور

(١) لعله : على ريب · وفي الفرج : نساء وجدن على فساد من بنات الوزراء والامراء والأجلاء الذين بادوا وذهبت مراتبهم · (٢) بالاصل : حيشا وعبارة الفرج غير هذه ·
(٣) بالاصل : يحفظهن · (٤) بالاصل : الاكناء ·
(٥) يريد النشوء او النشأة · وفي الفرج : النشوء ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فخرجت وقد حصل لي ثلاثة آلاف دينار عيناً وشيء كثير من الطيب والثياب (١) .

* * *

حدثني الحسين بن محمد الجبائي قال حدثني ابو القاسم بن عمرو بن زيد البزاز الشيرازي المقيم ببغداد قال حدثني ابو حمدون (٢) النديم عن آبائه ان احدهم أخبره ان المتوكل كان مشغوفاً بالعود الهندي فشكا اليه ذات ليلة إعوازه فقلت له يا امير المؤمنين الملوك لا تستقبح ان تستهدي من الملوك طرائف ما في بلادها فلو أنفذت الى ملك الهند هدية حسنة واستهديت منه عوداً هندياً ما كان ذلك عيباً قال فتكون أنت الرسول فأبيت فألزمني الى ان أجبت فتمنيت اني لم اكن أشرت عليه بالرأي وان كان صحيحاً لاجسر على الخطر بالنفس وقلت في نفسي قد كان يسعني السكوت واعدّ المتوكل الهدايا وتأهبت للخروج ووصيت لإياسي من الرجوع فلما أجدّ بي الخروج قلت ليس الا ان احمل معي شراباً كثيراً فاذا اشتدت الأمواج شربت وسكرت ولا أعقل ان غرقت ولا احس بعظم الأمواج مع السكر فاستكثرت من الشراب القطربلي والغناء (٣) الحسن والتفاح الشامي وجعلت بعضه في العسل ليبقى وخرجت فأقمت بالبحر شهوراً وعاينت أهوالاً عظيمة الى ان وصلت الى الساحل من بلد الهند فأركبت الظهر وسرت من بلد الى آخر

(١) قد غير المؤلف عبارة الفرج بعد الشدة في مواضع كثيرة .

(٢) كذا بالأصل والنديم المشهور هو ابن حمدون وكان اسمه محمد أو احمد واسم صاحب الحكاية زيد . (٣) لعله : العنب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

الى ان دخلت بلهور (١) وهو الملك الاعظم من ملوك الهند وهو اسم الملك الاعظم هنالك فوصلت الى البلد مع أصحابه وقد تُلقيت واكرمت وخُدمت وأُنزلت داراً حسنة من دورهم ثم جلس مجلساً عاماً فدخلت اليه وهو في حفله وتأهبه وجيشه ورعيته وقد جلس على سرير ملكه وعليه مئزران حرير صيني وقد اتشح باحدهما واتزر بالآخر وفي حلقه خيط فيه صرة من ذلك الخرز (٢) لا أدري ما فيها وكلمني بترجمانه وقال يقول لك الملك لأي شيء قصدت فقلت له ان امير المؤمنين أحب صلة الحال والمودة بينه وبينه فبعثني لذلك وحمل على يدي هداياه وسألت ان يأمر بتسليمها فأعاد الترجمان عنه جواباً حسناً جميلاً فانه قد أمر بقبض الهدية وانصرفت ورسله معي فتسلمها وترددت الى المجالس العامة دفعات فلما كان بعد ايام استدعاني في نصف نهار وكان الزمان حاراً فدخلت دار العامة التي كنت أصل اليه فيها فلم اجد فيها كثير احد فأُدخلت من موضع الى آخر حتى أُدخلت اليه وهو جالس في حجرة في غاية الحسن والسر والظرف والملاحة وفخر الآلات كأنها من حُجَر دار الخلافة ودست طبري في نهاية الحسن والملك جالس فيه وعليه قميص قصب في نهاية الخفة والحسن وسراويل دبيقي بتقطيع بغدادي وعلى مسورته ردى (٣) قصب فاخر جداً وبين يديه آلات ذهب وفضة وصياغات كثيرة عراقية كلها حسنة مملوءة بالكافور والماورد والعنبر والند والتماثيل (٤) فلما دخلت كلمني بالعربية

(١) يريد لاهور . وفي الجملة اضطراب ولعل المراد : وهي حضرة الملك الاعظم الخ وسقط اسم الملك . (٢) لعله : الخز . (٣) يعني رداء . (٤) هي قطع من الند .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بلسان طلق ذلق وقال كيف انت من قشف بلادنا فشكرت انعامه وقرظت بلاده وذكرت له اني في ريف من تفقده وبرّه فباسطني وطاولني واستطاب حديثي وأفضت معه في فنون من الأمور حتى تكامل انبساطه اليّ وتأملت أمره كله فاذا رجل عراقي متأدب · فسقاني من شراب بين يديه أصفر في قدح في صينية وقال إشرب هذا وقل لي هل عندكم مثله فقبّلت يده وقبلت القدح وشربته وقلت هذا في غاية الطيب والحسن والجودة فقال اصدقني هل عندكم مثله فوصفت الشراب القطربلي وذكرت منافعه وفضائله وطيبه وزدت في الوصف وبسطته فرأيت في عينه استبعاداً لقولي فقلت له اني كنت استصحبت منه شيئاً في طريقي وقد فضل منه فضلة لا أرضاها لحضرة الملك ولكن ان أمر باحضارها ليعتار (؟) بها صحة ما ذكرته له أحضرتها فقال افعل · فقلت لغلامي احمل كلما بقي عندنا من الشراب فجاء الغلام بادّن (١) يسيرة وقلت له ان يحمل شيئاً من التفاح الشامي فحمل مما كان في العسل عدة تفاحات ومسحها من العسل وكان في بعضه قد بقيت منه بقية صالحة · فلما وضعت الدنان بين يديه أمرت غلامي ببزلها في قدح وشربت منه اولاً ثم دفع اليه فاستحسن ذلك ثم أخذ التفاح فلما رأى لونه رأى شيئاً غير ما عنده وشمه فكاد ان يشهق استطابة وشربه وتقدح (٢) بشيء من التفاح وقد كنت كسرت واحدة وأكلت نصفها في حال شربه وتركت النصف الآخر بين يديه فتنقل به ومسح فاه ثم قال لي ما ظننت ان في الدنيا مثل هذا الشراب ولا مثل هذا النقل ولقد

(١) يريد ادنان · (٢) يريد تنقل اي اتخذ نقلاً ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

بعُدَ في نفسي ماأخبرتني به فلماشاهدته صدقتك وعظم في نفسي بلد يكون مثل هذا فيه مبتذلاً ولم أُصدق ذلك لولم أُشاهده . ثم قال لي ويحك تشربون مثل هذا وتتنقلون بمثل هذا وتموتون ان هذا لامرعجيب . ثم صار يستدعيني كل يوم الى تلك الحجرة فآكل معه ونشرب ويخرج اليَّ بالأحاديث فلما أنست به قلت له أيها الملك أتأذن لي أن أسأل عن شيءٍ ؟ قال قل : قلت ان الله عزَّ وجلَّ قد جمع لك من الملك العظيم انك جالس في هذه الحجرة في قطعة من دار الخلافة بالعراق بلا فرق ولاشك وقد أعطاك من حسن الرأي والفهم واللسان العربي ماجعلك به كأنك رجل من اهل بغداد فمن أين لك هذا ؟ فقال ويحك ان ابي كان من اولاد الملوك وقُتل ابوه وابتز على ملكه بعض قواده ثم خرج عليه (١) ولم يكن من اهل بيت الملك فهرب ابي خوفاً على دمه الى عمان فدخلها مستخفياً وتنقل في البلدان الى ان وقع ببغداد في زي التجار ومعه من يخدمه ويكتم امره وطاف بلدالعراق وكانت المادة تُحمل اليه من هاهنا فأقام بالعراق سنين حتى تفصح بالعربية وداشر اهل العراق ونكح منهم وخالطهم وتطاولت السنون به ومات ذلك الخارجي الذي قتل اباه وغصبه الملك فأوقف اهل المملكة الملك عليه وكاتبوه بالصورة واستقدموه وامدّوه بالأموال فاستصحب قوماً من العراقيين من اهل الأدب والعشرة واهل الصنائع فقدم فملك الأمر وجعل غرضه طلب العراقيين واسنى لهم العطايا فكثروا عنده فبنوا له هذه الحجرة وخدموه بهذه الآلات . فكان يجلس لاهل

(١) لعله : وابتز ملكه بعض قواده قد خرج .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

المملكة في زيهم لئلا يشيع عليه مخالفتهم في الزي وينقص بين ملوكهم فيهون امره عندهم ويجلس في خلواته هكذا . فلما ولدت اسلمني الى العراقيين والهنديين فكلموني باللغتين فنشأت أتكلم بهما ثم أدبني العراقيون وغلبوا عليّ فلما مات سلم الملك اليّ فاتبعت طرائقه في الجلوس العام لأهل المملكة بزيهم والانفراد عنهم في الخلوة بهذا الزي . قال فقلت له فما ذلك الذي تعلقه في حلقك والصرة ؟ فقال هذه الصرة فيها عظم من عظام الرجل الذي جاء بعبادة البدّ (الوثن) واقام هذه الشريعة لهم وله كذا وكذا الف سنة وذكر عشرة الوف سنين وقال ان الرجل لما مات وصى بان يجعل في تابوت بعد تابوت كذا وكذا الف سنة فما يزال كلما بلي شيء من عظامه احتفظوا بالباقي ونحوا البالي لئلا يسرع الفساد الى الصحيح الى ان لم يبق منه الا هذا العظم الواحد فخافوا ان يبلى ايضاً فجعلوه في حق من ذهب وجعلوهما في صرة وصارت الملوك تعلقه في حلوقها في خيط تعظيماً وتبركاً به وتشرفاً بمكانه وصيانة له عن البلى . فقد علق في حلق كذا وكذا ملك مدة ايام ملكهم كذا وكذا سنة وذكر امراً عظيماً وقد صار عندنا كالبردة التي لصاحبكم يلبسها خلفاؤكم . قال : فلما طال مقامي وضجرت سألته الاذن في تسريحي وأعلمته إعجاب الخليفة بالعود الهندي واشرت عليه بالاستكثار منه وقلت هو احب اليه من جميع ما تهديه اليه من غيره فأنفذ منه شيئاً عظيماً هائلاً كثيراً وفيه من الطرائف مالم يسمع بمثله وانفذ مع (١) الجواهر واليواقيت والتوتيا وطرائف بلاده مايكون قيمته

(١) لعله : معي من

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

مالاً جليلاً واضعاف ما حملناه اليه · فلما اردت توديعه قال اصبر · ثم دعا بصندوق ففتحه واخرج منه مفتاح ذهب (١) واخرج منه قطع عود هندي لطافاً فأعطانيها وقد كان قدّ (اي قدر) ما اعطانيه نصف رطل ودعا بدرج وجعله فيه وقفله وسلمه ومفتاحه اليّ وقال هذا خاصة توصله من يدك الى يده · قال : فأنكرت ذلك في نفسي وقلت ابت الهدية (٢) الا الحمق قال فبان له التنكر في وجهي فقال اظنك احتقرته فقلتَ وماهذا حتى توصني فيه بمثل هذا · فقلت الملك يقول · فقال يا غلام هات مجمرة ونارا فأتى بهما ودعا بمنديل لطيف للكم فأتي به واخرج من ذلك العود شظية مقدارها اقل من نصف دانق فضة فطرحها على النار وبخر بها المنديل ثم قال شم فشممت شيئاً لم ادر ماهو لا يشبه الند ولا العود ولا شيئاً طيباً نتبخر به ماشممت مثله قط فقلت يحق لهذا ان يوصيني به الملك بماوصى فقال اصبر حتى اريك منه اعجب مما رأيت ودعى بطشت وماء فأحضرهما وامر بغسل المنديل بالصابون فغسل بين يديه ثم امر ان يجفف في الشمس ويحضر قال ففعل ثم قال شمه فشممت الرائحة بعينها لم تتغير ولا نقصت فأعاد الغسل بالصابون والتجفيف دفعات تقارب العشرة الى ان انقطعت الرائحة في الاخيرة فهالني ذلك فقال اعرفِ الآن قدر مامعك واعلمْ انه ليس في خزائن ملوك الهند كلها من هذا رطل واحد غير ما اعطيتك وعرّف صاحبك فضيلته قال فودعته وانصرفت ورزق الله السلامة ودخلت على المتوكل فسُرَّ بقدومي وأكرمني وسلت اليه الهدايا فحسن موقعها منه واعدت عليه اكثر حديثي مع

(١) لعله : ففتحه بمفتاح ذهب · (٢) لعله الهندية ·

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الملك الى ان بلغت الى خبر النصف رطل عود واخرجته فسلمته اليه ولم اشرح له خبر الخرقة فاستحمق الرجل كما استحمقته فقصصت عليه الشرح واخرجت المجمرة والنار وخرقة وفعلت كما فعل الملك فهاله ذلك امراً عظيماً وسُرَّ به سروراً شديداً وقال هذا النصف رطل بسفرتك . قال الحسين فقال لي ابو حمدون زيد واستبعدت امر هذا العود الى ان حدثني بعض التجار الثقات المشهورين بدخول الهند دفعات بحديث هذا العود ووصفه لي فخرج الحديثان واحداً على اتفاق . فقلت هل سمعت ماسبب قلته فقال سألتهم عن سبب ذلك فقال ليس ينبت الا في موضع واحد في قُلّة جبل بيننا وبينه مشاقٌ وغرر واخطار ووحوش ضارية كثيرة فالملوك تتكلف انفاق الأموال العظيمة على مرور الايام والشهور والأعوام حتى يصل اصحابهم الى ذلك الجبل ويصعدون منه الى حيث يمكن فيبلغون الى حيث لاطريق فيه ولاحيلة ويرون تيوساً كالتيوس الجبلية التي هاهنا ترعى في تلك الأشجار من بعد فربما اتفق ان يروا الواحد وهو في الذروة وفي فيه قطعة من هذا العود يأكله فيرمونه بالسهام فان اتفق ان يصيبه السهم فيسقط اليأس اليهم بحمية السهم وفي فمه ذلك العود فيتناولوه من فيه والا فلا سبيل الى شيء من حصول (١) العود البتة في سنين طوال تتفق هذه القطعة اليسيرة بعد المشقة العظيمة على مراصدة الرجال بذلك فبهذا السبيل يقل .

« للبحث صلة »

---

(١) لعله : من الحصول على شيء من العود .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net

آراء وافكار

(تَنْ)

كلمة فارسية بمعنى (بدن ، جسد) وفي اللغة العربية (القديمة والحديثة) عدة كلمات مبدوءة اومختتمه بكلمة (تَنْ) مما يدل على ان اصلها أعجمي . من ذلك :

« تنبل » بكسر اوله على وزن (درهم) معناه في اللغة الفصحى القصير . وأما هو بفتح التاء على وزن (جعفر) فقد قال صاحب التاج في مستدركه إنها كلمة عامية يريدون بها البليد الثقيل قال السيد (أدي شير) الكلداني إن (تنبل) بمعنى بليد كسلان فارسي معرب وهو محرف عن(تنبول) وتنبول محرف عن(تنپرْوَر) وهما كلمتان : (تن) بمعنى جسد بدن و(پرور) بمعنى مربي مغذي . فالبليد الكسلان تراه مشغولاً براحة بدنه مكثراً لتغذيته بألوان الطعام فيسمن ويضخم ويصبح غير قادر على السعي ولا نشيط الحركة في العمل .

(تجفاف) بكسر اوله كلمة عربية واردة في فصيح كلام العرب ويراد بها ما يُلْبَسُه الفرس في الحرب وقايةله من وقع الأسنة كالدرع للانسان . قال ابن الجواليقي : التجفاف معرب ومعناه ثوب البدن . وقال العلامة الخفاجي في (شفاء الغليل) (التجفاف) لفظ معرب عن الفارسية واصله (تنپناه) أي حارس البدن اه . ولاأراني مرتاحاً الى ماقالوه من تعريب التجفاف فانه بالكلمات العربية أشبه . والى صيغها ومعانيها أقرب : فالتجفاف بفتح اوله بمعنى التيبيس كالتجفيف . ويؤيده ماقاله صاحب المصباح في تعليل تسمية تجفاف الفرس تجفافاً — وقيل سمي بذلك لما فيه من الصلابة واليبوسة .

(تُبَّان) السراويل القصيرة يلبسه الملاحون والمصارعون قالوا وهومعرب عن الفارسية واصله (تنبان) . فالظاهر انه مما نحن فيه ويكون مركباً من (تن) بمعنى بدن و(بان) بمعنى حارس أو حافظ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

(منتان) ثوب معروف كالصدار الا انه بكمين ويكون قصيراً لايتجاوز مراق البطن . وقد وقع فيه تحريف كثير إذ أن اصله (الفارسي) كما سيفي كتاب (كنز اللغات) — (نيمتن) : (نيم) بمعنى نصف و (تن) بمعني بدن فهو ثوب يستر نصف البدن ثم ان نيمتن تحرف الى (نيمتان) ثم الى (ميمتان) و (منتـان) ومن المستبعد ان يكون (منتان) عربي الأصل من النتن وهو الرائحة الخبيثة ويكون محرفاً عن (منتن) وجمعه مناتين يقال رجال مناتين وآباط مناتين أي ذات نتن والثوب المسمى (منتان) يكون له رائحة كذلك . هذا بعيد والاول أحسن واقوم .

(تنوره) ثوب على عكس المنتان اى انه يحيط بالجسم من الوسط الى القدمين وهو بتشديد النون . أما أصله الفارسي فبتخفيفها . وهو مركب من كلمتين (تن) بمعنى بدن و(نوره) لم اهتد الى معرفتها . وكلمة (التنورة) من الفاظ العوام المتأخرين .

(تنباك) اسم النبات المعروف الذي يمتص دخانه بواسطة الارگيلة أو النارجيلة وقد قال بعض الكتاب المعاصرين ان كلمة (تنباك) فارسية وهي مركبة من كلمتين (تن) بمعنى بدن و (باك) بمعنى مطهر (أو طاهر) أي مطهر البدن . وهذه التسمية ناشئة عن أسطورة إيرانية تفسر لنا اصل اكتشاف التنباك . وذلك أن رجلاً ابتلي بقروح في بدنه تولدت فيها الديدان واعيت الاطباء فهام الرجل على وجهه في البرازي حتى اهتدى اخيراً الى هذا النبات المسمى (تنباك) فجعل يربط اوراقه على قروحه فامتصت رطوباتها ونقتها من الديدان وهكذا شفاه الله فسمى الناس هذا النبات (تن باك) اي مطهر الجسد ومنقيه من الآفات .

هكذا قال بعضهم ولا أراه صحيحاً وانما الصواب فيه ان كلتي (التنباك) و(التبغ) اختان وهما محرفتان عن كلمة Tabogo اسم جزيرة من جزر الانتيل في اميركا اجلب هذا النبات منها وهو لم يعرف قبل اكتشاف اميركا ويشهد لهذا ان اسمه باللغة الافرنسية (Tabac) .

المغربي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مطبوعات حديثة

—«»—

معجم الحيوان

« بقلم الدكتور امين باشا المعلوف ص ٢٧١ من قطع المقتطف »

الدكتور امين باشا المعلوف هو في هذا القرن اول من بحث عن الألفاظ العربية للحيوان متحرياً مايقابلها من الأسماء العلمية حتى صار مؤلفه جديراً بأن يدعى معجماً مضبوطاً لبعض اسماء هذا القسم من الأحياء . وقد كان العلامة المشار اليه نشر هذه الأبحاث تباعاً في المقتطف بأسم « معجم الحيوان » بدءاً من عدد تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٠٨ ، ثم جمعها اليوم من اجزاء المقتطف العديدة واضاف اليها ماحققه حديثاً ، ورتبها كلها على حروف المعجم وطبعها كتاباً جعله المقتطف هدية للمشتركين فيه . والمؤلف من انصف العلماء لكل اصحاب الأسانيد الذين اقتبس منهم سواء اكانوا على قيد الحياة ام ممن طواهم الدهر في طياته ، وسواء أأحسنوا اليه على اعتقاده ام اساءوا . فتراه مثلاً ينقل عن معجم شرف المطبوع سنة ١٩٢٨ استعمال لفظة « غَثْراء » لأحد انواع الضباع ولفظة (كُبَع) للحوت المسمى جمل البحر ويشير الى هذا الإسناد على حين انه متأكد كل التأكيد ان الدكتور محمد شرف بك نقل الى معجمه عشرات من الفاظ « معجم الحيوان » المنشور في المقتطف دون ان يذكر معجم الحيوان في جملة الأسانيد التي اعتمدها بل تخطاه الى الأسانيد الأصلية التي لقي امين باشا من مراجعتها عرق القربة . وهذا لايجوز بين العلماء . وقد كنت اشرت اليه في هذه المجلة [1] . ولا شك عندي ان عالماً يقدر الاجتهاد حق قدره كالدكتور شرف

---

(١) مجلد ١١ صفحة ٥٠٢ .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لم يهمل ذكر «معجم الحيوان» في جملة المراجع التي استقى منها الا سهواً ، ولو كنت مكانه لأغلنت هذا السهو على الناس مادام كل حي عرضة للنسيان .

ويمتاز معجم الحيوان بصحة التحقيق العلمي ودقته وبكثرة المراجع التي رجع اليها المؤلف في تأليفه واهمها في نظري حديقة الحيوانات ومفتشها وهنالك يستطيع الانسان المجد ان يضع الاسماء في مواضعها امام الحيوان نفسه حيًا أو محنطاً أو ميبساً . وتأتي بعد ذلك كتب علماء اجانب مشهورين من رواد البلاد العربية الذين تحروا حيواناتها ودوّنوا اسماءها العلمية كما دونوا ماتصل بهم من أسمائها العربية بالفصحى أو العامية مثل فورسكال وشوينفورث وسنت هيلر ودرمر وبولنجه وميزتزهاجن وبوست وغيرهم دع علماء العرب مثل الأب أنستاس الكرملي واحمد فارس الشدياق واحمد كمال باشا واحمد ندا ويعقوب صروف ومحمد حلمي السماع من المعاصرين والجاحظ والدميري والقزويني والمسعودي والادريسي وابن سيده وغيرهم من الأقدمين . ولا أظن انه فات المؤلف كتاب يعول عليه في هذا الباب دون ان يراجعه حتى انه ما كاد يتصل به صدور كتاب جديد في حيوانات الشام المائية لمؤلفه الفرنسي غرول (Gruvel) حتى بحث عنه لعله يجد في هذا الكتاب الجديد لفظة ما جديدة .

فلهذه الاسباب جميعها جاء معجم امين باشا آية في التحقيق العلمي ومرجعاً مهماً ومضبوطاً لكل معجم افرنجي عربي يؤلف وبخاصة لمعجم المصطلحات العلمية الذي طالما تمنينا ان يتكاتف العالم العربي على اصداره في المستقبل القريب . واذا شاء المطالع الوقوف على فرط التحقيق في معجم الحيوان فليراجع ما كتب صاحبه عن الببر والنمر ، والنسر والعقاب ، والخلد والطوبين (الخلد الأوربي) والبُخْت هل هي عربية ام لا الى عشرات من الألفاظ التي لم يكتف المؤلف بوضعها مقابل اسمائها العلمية بل ناقش وقارن واستدل الى ان استنتج ان اللفظة العربية الفلانية يجب ان تدل على الحيوان الفلاني بلا تردد او جدال . ولهذا لا يعد كتاب امين باشا معجماً لألفاظ الحيوان فحسب بل هو معجم لغوي لكل مايتصل بالحيوانات الواردة فيه من اسماء عربية مما جاء في كتب علماء العرب الأقدمين . وربما ملأ المؤلف صفحة كاملة أو صفحتين في مناقشة ماورده العلماء من الأسماء لحيوان واحد .

وعلى ذكر البخت وهي لفظة يطلقونها على الابل الخراسانية تنتج من جمل عربي ذي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سنام واحد وفالج ذي سنامين) نقل المؤلف عن التاج : ان بعضهم يقول ان البخت عربي وينشد لابن قيس الرقيات :

« إن يعش مصعب فانا بخير قد أتانا بعيشنا مانرجي
يهب الألف والخيول ويسقي لبن البخت في قصاع الخلنج» انتهى

قلت ولدي دليل آخر على أصالة هذه اللفظة بسبب استعمالها قديمًا وهي ابيات احفظها عن معجم البلدان في مادة (حامر) في وصف طغيان الأنهر العظام (وهو الفرات في الأبيات) وتشبيه كرم يزيد به ، قال الشاعر :

وما مزبد يعلو جلاميد حامر يشق اليها خيزرانًا وغرقدا [1]
تحرز منه اهل عانة بعد ما كساسورها الأعلى غثاء منضدا
باجود سيبًا من يزيد اذا بدت لنا بخته يحملن مجدًا وسؤددا

ولقد قطعت البادية بضع مرات بين دمشق وحدود العراق على مقربة من عانة فلم اشاهد الفالج ولا الأولاد الناتجة من الفالج والعربي لأن هذه يكون كلها او معظمها ذوات سنامين ، ونستبعد استعمال مثل يزيد لها . ولهذا نرجح مع صاحب معجم الحيوان ان لفظة البختي كانت تطلق ايضًا على بعض سلالات الإبل العراب كما حققه .

وأظن ان المعجم على كبره لا يحوي اكثر من الف نوع ونيف (وهو ماوضع اجدادنا له اسماء) مع ان دوحة الحيوان اليوم تحتوي على مئات الألوف من الأنواع ولا سيما الحشرات فالمعجم يكاد يكون خاليًا منها على حين ان فيها نحو مائة نوع على الأقل اشتهرت بما توقعه من الأضرار في النباتات الزراعية ومن المفيد ذكرها وتسميتها باسماء عربية وهو مافمت به في المقالة التي تنشر في العدد التالي .

ولفت نظري ايضًا ان العلامة امين باشا اهمل في المعجم الأسماء الفرنسية للحيوانات مع انه كان ذكر كثيراً منها يوم نشر المعجم في المقتطف . وهذا لايسر الذين تعلموا في مدارس فرنسية . ولعل ضيق الوقت المحدد للطبع جعله يقتصر على الأسماء اللاتينية والأنكليزية دون الفرنسية . وضيق الوقت جعله يسهو ايضًا عن ذكر بعض الأسماء في اماكنها فلفظة البخت مثلاً لم اجدها في الفهرس العربي كما انني لم اجد لفظة (Otis)

(١) الغرقد نبات يكثر حول الفرات وهو باللاتينية (Nitraria tridentata) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اللاتينية في مكانها وهي تدل على جنس الحبارى مع انه لم يسه عن ذكر البخت ولا الحبارى امام الاسم الانكليزي . وهذه الهنات الطفيفة لا تقدح بهذا المصنف الخالد ، اثاب الله المؤلف على مابذله من جهد مضنٍ في خدمة اللغة العربية .

مصطفى الشهابي

﴿ أمالي ابن الشجري ﴾

هو الشريف ابو السعادات هبة الله توفي سنة ٥٤٢ هـ ولم يقم بعد علماء اللغة والنحو الأولين من يشبهه في تحقيق مسائل هذين العلمين اذ كان اماماً مبرزاً فيهما وقد قال ابن خلكان ان كتابه (الأمالي) اكبر تآليفه واكثرها إفادة . املاه في اربعة وثمانين مجلساً . وهو يشتمل على فوائد جمة من فنون الأدب وختمه بمجلس قصره على ابيات من شعر ابي الطيب المتنبيء وبين ايدينا الآن نسخة مطبوعة من هذا الكتاب مصححة ومضبوطة بعناية احد علماء الازهر (الاستاذ عبدالخالق مصطفى محمد) . وتولى نشره جماعة يرأسهم الشيخ (عبد الحفيظ سعد عطية) بالازهر نشروا الجزء الأول منه في (٣٨٦) صفحة بلغوا فيه المجلس التاسع والاربعين . ووعدوا بنشر الجزء الثاني . وطريقة المؤلف في مجالس هذا الكتاب هي طريقة المتقدمين من علماء اللغة في أماليهم كالمبرد والقالي فهو يفتتح المجلس ببيت شعر من كلام العرب أو بآية كريمة او بمسألة من مسائل النحو واللغة أشكل أمرها فيشرح كل ذلك شرحاً وافياً ويذكر من الشواهد ونصوص اللغة والأدب ما يستدعيه المقام . فالكتاب كتاب تطبيق وتمرين لايستغني عن الاستفادة منه طلاب اللغة والنحو وكل من أراد الاخصاء في علوم الآداب العربية . وقد افتتانا المؤلف أحسن الله اليه بجواز تفسير الكلمة اللغوية بمرادفها من كلام العامة . فانه في بحث حذف لام حرف الجر (على) الواقعة قبل لام التعريف كراهة اجتماع المثلين فيما حكاه سيبويه من قولهم (عَ الماء بنو تميم) يريدون (على الماء) ومثله قول قطري بن الفجاءة :

(غداة طفت عَ الماء بكر بن وائل وعجنا صدور الخيل نحو تميم)

— فسر المؤلف ابو السعادات فعل (طفت) بقوله (قفت) وقد وجد على هامش الأصل مانصه :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

« تفسير طفت بقفت وهم . لأن الطفو على الشيء فوق الماء وضده الرسوب والقفو تتبع الشيء الا أن هذه الكلمة يخطيء فيها العامة في بغداد فتقول (قفا) أي (طفا) فذكرها (أي المؤلف) على عادتهم فيها اه » والاستاذ المولع بالتعليم والتفهيم أمثال ابن الشجري لا يبالي ان يودع كتابه المملوء فصاحة وعروبة كلمات عامية مادام فهم المعنى يتوقف عليها وغموضه يتجلى بها فاذا أريد مثلاً ان تفسر كلمة (ثدي) بمرادف يفهمه السامع بسهولة فلا بأس على مذهب ابن الشجري ان يقال (الثدي هو البز) والبز بكسر اوله وتشديد زايه يستعمله العامة كثيراً بمعنى الثدي ولا يُدرى من اين تسرب الى لغتنا وقد قال التاج في مستدركه (والبز بالكسر ثدي الانسان هكذا يستعملونه ولا ادري كيف ذلك) .

المغربي

(كتاب الإفصاح)

« عن معاني الصحاح »

تأليف الوزير ابن هبيرة المتوفى سنة ٥٦٠ هـ طبع سنة ١٣٤٨ هـ بالمطبعة العلمية في حلب صفحاته (٤٤٨) .

موضوعه الأحكام الشرعية على المذاهب الأربعة في العبادات والمعاملات في مائة واثنين وعشرين باباً يبين في كل منها ما اتفق عليه وما اختلف فيه بين الأئمة الأربعة وهو أقدم ما أُلف في هذا الموضوع من الكتب المتداولة بين الأيدي في عصرنا كبداية المجتهد لابن رشد الحفيد ورحمة الامة للقاضي العثماني والميزان للشعراني . وعبارة الافصاح بعيدة عن التكلف روعي فيها جمع المعاني الكثيرة بالكلمات اليسيرة مع السلامة من الإفراط والتفريط في الايجاز والتطويل . ولا جرم ان للوزير مؤلف الإفصاح هذا عناية بهذا الموضوع ، فحاز فيه القدح المعلى ، وبذ الأقران في ميدانه وجلى ، وله كتاب بمعناه أيضاً سماه الإشراف على مذاهب الأشراف . والوزير ابن هبيرة كان يهتم بكل ما له مساس بالمصالح العامة . فلا عجب اذا رأيناه قضى معظم حياته وهو يدرس هذا الموضوع الذي خدم به الأمة الإسلامية جميعاً . ولم يجعل لكتابه الافصاح هذا مقدمة اكتفاء بما الفه قبله

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من الكتب الجامعة للفروع وادلتها تحرياً لصحة أحكام الفروع التي اقتصر عليها في الإفصاح على انه قد يذكر الأدلة في بعض المباحث اذا اقتضاها الحال .

وقد استهله ناشره الاستاذ الشيخ محمد راغب الطباخ الحلبي بتصدير أودعه فوائد الكتاب ووصف ماعثر عليه من مخطوطاته وترجمة مؤلفه الوزير ثم ختم تصديره بصورة صفحة الإفصاح الأولى نقلاً عن نسختين قديمتين من مخطوطاته احداهما محفوظة في خزانة المكتبة الظاهرية بدمشق والأخرى عن نسخة في خزانة كتب المرحوم العلامة أحمد تيمور باشا . وقد وقع في الكتاب من السهو والخطإ المطبعي ماعسى ان يتلافى في طبعته الثانية كالأشتري في الصفحة الثالثة عشرة وصوابه الأشيري بالمثناة التحتية وكمنصور النميري في الصفحة الحادية والاربعين والصواب نصر بن منصور وكقوله في اول باب تفرقة الزكاة : إلا أن يقدم منهم أحد والصواب إلا أن يفقد او يعدم منهم أحد فيوفر حظه على الباقين الخ . وكقوله في الصفحة (٢٩٠) قال الوزير رحمه الله تعالى انه (أي العزل) مكروه عندي لانه جنس من الوءاد والصواب جنس من الوأد . هـذا ولو رأيت سقم خط المخطوطات التي نقل الاستاذ ناشر الكتاب عنها لعذرته بل لشكرته لما بذل في هذه السبيل من جهد جاهد .

عبد القادر المبارك

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net